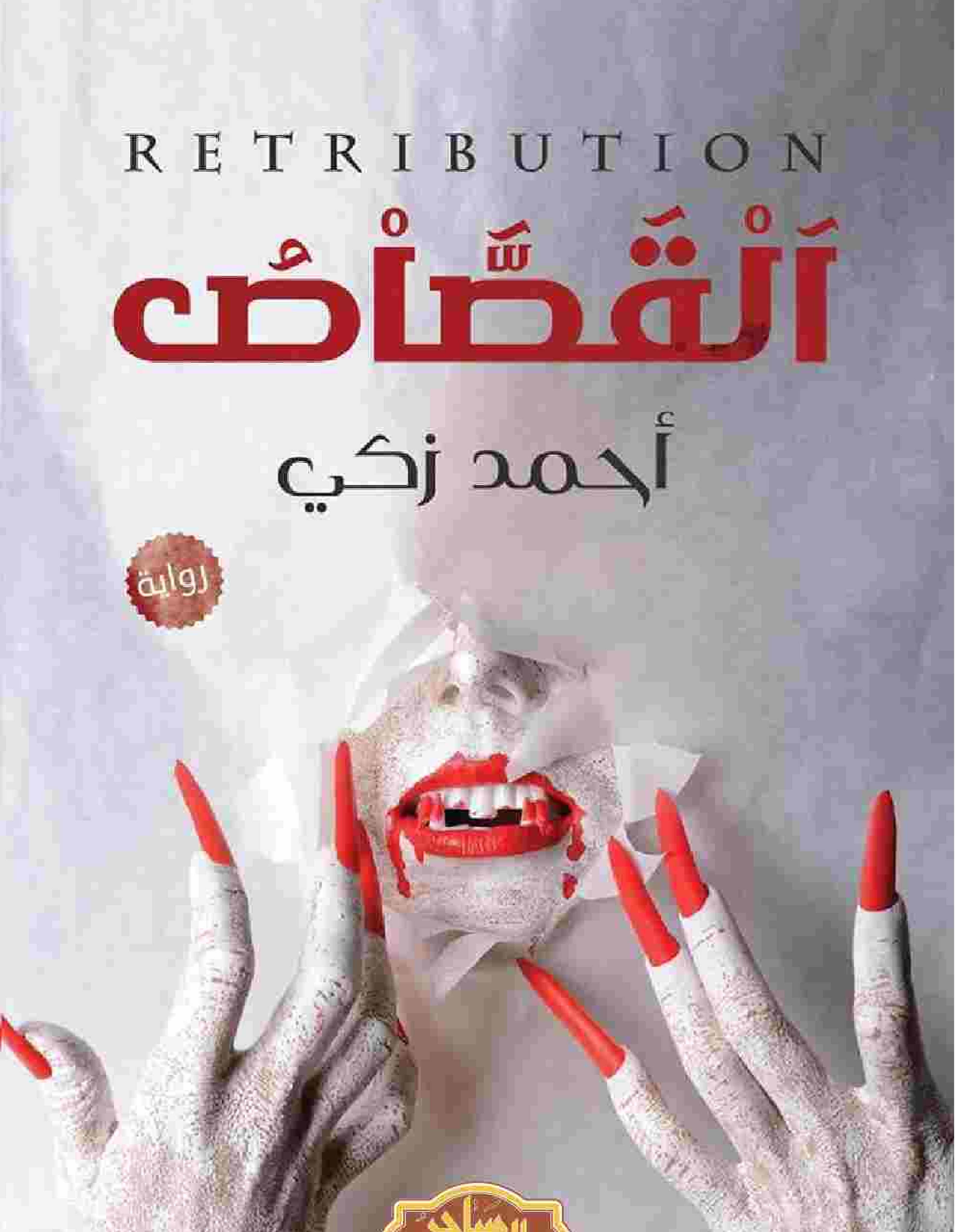

RETRIBUTION
القصاص
أحمد زكي
رواية
ساحر الكتب

اَلْقَصَّاصُ

الكتاب : اَلْقَصَّاْصُ.

المؤلف : أحمد زكى.

تصميم الغلاف : إسلام مجاهد.

تدقيق لغوي : أحمد زكى.

رقم الإيداع : 5114 / 2020

الترقيم الدولي : 2 – 230 – 778 – 977 – 998

الطبعة الأولى : 2020



20 عمارات منتصر – الهرم – الجيزة

ت–02–35860372   011–27772007

info@noonpublishing.net

أحمد زكي

اَلْقَصَّاصُ

- رواية -



الإهداء:

- إلى أمي العزيزة..

(هى تفرح بهذا الإهداء جدا)

- أبنائى الأعزاء..

شكرا! شكرا جزيلا! هذه الرواية كانت من الممكن أن تنتهى منذ قرن مضى لولاكم! حسبنا الله ونعم الوكيل!

- إلى زوجتى العزيزة..

(هى أصلا سبب كتابتى لهذا الإهداء، كما أنى وضعتها فى النهاية ليس استهانة بقدرها حاشا لله؛ إنما لأن النجوم يأتون فى نهاية الحفل وليس نسيانا لحقها أو أى شىء آخر لأنها فوق الجميع كما تعلم – لو كنت متزوجا -، ربما كان من الاحتياط أن أضع لها إهدائين؟ أحدهما فى الأول والثانى فى الخاتمة!)

شكرا لكم جميعا، فلولا وجودكم فى حياتى ما كتبت شيئًا، وأنتم رائعون حقا ومذهلون جدا، وأيضا أنتم الأساس فى كل شىء..

(هم جميعا يحبون هذا الكلام)!

الْمُقَدِّمَةُ:

لابد من مقدمة.. وهى فرصة مناسبة كى أشرح لك وجهات نظرى فى الحياة والكون والنساء وأنا واثق أنك ستقرأ ما سأكتبه أنا حالا.. والسبب؟ أنت دفعت مالا لتقرأ هذه الرواية، لذلك ستقرأ كل حرف فيها، وهو ما سأستغله أنا جيدا لأثرثر وأثرثر حول كل ما أريد الثرثرة فيه.. هذه فرصة جيدة نادرا ما تتكرر.. ألا ترى ذلك معى؟

فى البداية، أنت مقبل على مزيج فريد.. مزيج من أحداث حقيقية حدثت بالفعل، مع خيال مريض لايمكن أن يرى خيرا فى حياته قط! نزعة تشاؤمية مريضة ترى الشر ولا ترى الخير! أتحدث هنا عن نفسى طبعا! بعض أصدقائى قرءوا ما كتبته هنا فى مراحل تكوينه الأولى قبل أن يصير جنينا مكتملا، فكان السؤال الغامض الذى يفرض نفسه دائما:

أين ينتهى الخيال وتبدأ الحقائق؟

وهو ما لم أجب عليه قط..

ربما أنا لا أعرف عن نفسى أين ينتهى الخيال وأين تبدأ الحقائق! لقد رأيت فى حياتى كما كبيرا من الغرائب التى لا يمكن تصديقها أبدا.. لو حكاها لى شخص آخر لاتهمته فورا أنه كاذب.. أنت تذكر رواية (أرواح نجسة) مثلا عندما لمست الشر وعرفت أن الأحداث الواردة هنا يمكن أن تحدث لك بسهولة بالغة.. ربما تذكر أيضا (الحوت الأزرق) عندما كدت أموت فى اللعبة اللعينة، أو ربما تذكر (إبليس يعلن عن نفسه) عندما قابلت عبدة الشيطان فى مصر وربما جوار منزلك.. كل شىء ممكن صدقنى.. وماذا عما حكيت لك عنه فى (جبروت)؟

ليس الهدف هو الحديث عن ذكرياتى قطعا، وإن كان من حقى تماما كما تعلم..
الهدف فى هذه الرواية يختلف قليلا..
الهدف من هذه الرواية هو المتعة الخالصة.. متعة القراءة وخوض
مغامرة لم تكن تحلم بوجودها.. الدخول فى قلب كوابيس لا تتخيلها..
الرعب فى حد ذاته متعة لا تضاهيها متعة.. أن تشعر بالخوف والخطر يحوطك من كل جانب بينما أنت نائم فى فراشك ترتجف تحت الغطاء، وجوارك كوب السحلب أو الشوكولاتة الساخنة وتقزقز اللب .. أى متعة أفضل من هذا غير متعة الأكل بالطبع؟
هى صفقة متبادلة: أنتم تريدون أن تتسلوا وأنا أريد أن أسليكم لا أكثر ولا أقل، فهيا نتسلى ودعنى لا أضيع وقتك أكثر من هذا..
عم ستتحدث هذه الرواية؟
عنى طبعا !

* * * * *

جلست فى شرفة منزلى أرمق الحاسوب فى تأمل عميق.. (سلمى) و(نور) بنتاى تلعبان ورائى مع ابنى الوغد، بينما زوجتى تصيح كالعادة أن يبتعدوا عن العصافير ويطعموا السلحفاة، ثم يرتبون كل هذه الفوضى التى تسببوا فيها!

ضجيج..

دائما ما أهرب منهم إلى هذه الشرفة لأكتب أو أتأمل المارة.. لكن الوقت الآن شارف على الثانية ليلا ولا يوجد مارة تقريبا.. هواء حديقة (عابدين) المنعش يخترق رئتى فيبعث إلى بأفكار لانهائية..

لا بد ان أكتب رواية رهيبة..

رواية مفزعة لم يسبق لأحد كتابة مثلها قط..

رواية لم تكتب فى تاريخ الأدب العربى ولا الغربى..

لى قصة لا بأس بها أبدا مع القميص المسحور الذى وجدته فى متحف الفن الإسلامى بباب الخلق، ربما أكتبها هنا.. أو ربما أعيد صياغة إحدى الرسائل التى تنهال على رأسى يوميا لأشخاص يعانون من ظواهر غريبة لا يمكن تصديقها.. بعضها يحمل شيئا من الحقيقة بالفعل،

والبعض الآخر هو مجرد محاولات لخداعى فقط..

كنت شاردا أتأمل شاشة الحاسوب الرمادية حين أتانى الصوت حادا جعلنى أنتفض فى مكانى:

ـ ماذا تفعل فى البلكونة؟

إنها زوجتى.. ماذا أفعل؟ رويدا.. أنا لم أفعل شيئا خاطئا أصلا! لماذا أتوتر؟

نظرت نحوها مبتسما وقلت:

ـ أؤلف رواية جديدة..

ـ لكن الحاسوب مغلق..

ـ سأفتحه ثم أؤلف رواية جديدة..

ـ هل تهرب منا؟

ـ لا.. أريد فقط أن أكتب هذه الرواية الجديدة..

ـ إذن لماذا تجلس وحدك مادمت لا تهرب منا؟

ـ لأكتب هذه الرواية اللعينة.. أقصد الجديدة..

ـ تشرب شايا؟

ـ شكرا.. لقد أنهيت كوبى للتو..

كانت تحاول دخول الشرفة بقوة وهى تدفع الأثقال التى وضعتها كى لا يدخل أحد وخلفها ابنها يحمل شرا خفيا يرده فعله.. ربما سكب بعض الماء على الحاسوب أو إلقاء هاتفى فى الشارع أو أى شىء لطيف مما يفعله هؤلاء الأوغاد الصغار، ثم قالت:

ـ لماذا تضع كل هذه الأشياء هنا؟

ثم تنظر لى بشك وتقول:

ـ لماذا تجلس وحدك؟

-..........................

تنظر لى نظرة كلها خيبة أمل لمست فيها أنى أرغب فعلا فى الجلوس وحدى، ثم استدارت خارجة وهى تغمغم:

-حسنا .. عندما تنتهى أخبرنى..

تنفست الصعداء.. مسكينة أيضا، هموم الحياة وأعباء الأطفال والمذاكرة وغير ذلك.. لابد أنها تريد أن تحكى لى ماصار فى الأيام الماضية وما سوف يصير فى الأيام المقبلة.. المشكلة أنى الآن لا أرغب سوى فى الكتابة فقط.. لا تعتبرها أنانية، لأن لكل شخص مساحة من الوقت يجب أن يقضيها بمفرده.. ألا ترى ذلك معى؟

فتحت البريد الألكترونى وبدأت أتصفح الرسائل.. رسالة وراء أخرى حتى وجدت هذه أمامى فبدأت أقرأ فى ملل تحول لخوف مطبق!

لا يمكن أن يكون هذا الكلام حقيقيا.. الأسلوب ركيك والكاتب لا يفقه شيئا فى اللغة العربية مما يوحى جدا أن الكاتب لا يكذب، ولكن.. قطعا لا يمكن أن يكون هذا الكلام حقيقا!

لا يمكن أبدا..

بقلب يحمل الخوف والحماس، وأصابع ترتجف بدأت أعيد صياغة القصة.. لربما صارت رواية يتحاكى عنها الأجيال، ولربما تنكشف كل التفاصيل مما سيجعلنى مشهورا مشهورا فوق كل ما أتمناه! فى النهاية أنا من أماط اللثام عما حدث..

وللأمانة ولذوى القلوب المرهفة الحساسة الذين لا يتحملون الدم الجميل

أُحَذِّر: **توجد بعض التفاصيل الدموية!**

مستعد؟

* * * * *

رِسَالَةٌ.. مِنْ فَوْقِ مَحَلِّ اَلْجِزَارَةِ..

هذه حكايتى..

سيدى..

أنا متابع جيد لك هذا منذ سنوات عديدة، ولم أفكر قط فى الكتابة إليك إلا منذ قليل.. ليست مشكلة وأريد حلها كما اعتدت من قرائك الأفاضل، ولكنها قصة حياتى التى لم أخبر بها مخلوقا من قبل، والتى أشعر بالحرج نوعا من حكايتها لأحد..

عندما كنت طفلا صغيرا، كان أبواى يعيشان معا فى منطقة شعبية من مناطق وسط القاهرة، وكنت طفلا مدللا لأبى..

أبى كان يمتلك محل جزارة أسفل منزلنا مباشرة، وكانت أمى هى الزوجة الثانية لأبى إذ أنه كان متزوجا بأخرى وله منها أربع بنات، ثم تزوج أمى رغبة فى الولد، وبالفعل رزقه الله منها بالولد منذ المرة الأولى، وهذا الولد هو أنا..

كانت زوجته الأولى وبناتها يعشن فى الطابق الرابع من نفس العمارة، بينما نعيش أنا وأمى فى الطابق الأول..

بالطبع كان اهتمام أبى منصبا بالكامل على أمى وعلىّ وترك زوجته الأولى وبناته إلا قليلا.. فكرة الولد سيطرت عليه بالكامل فلم يعد يرى فى الكون غيرى، فاستأثرت دون ذنب منى بالحنان والمداعبة والألعاب والملابس الجديدة وكل ما يمكن أن يسبب الفرح لطفل وأمه، فأغدق على أمى من كل شىء..

وبالطبع غارت زوجة أبى الأولى غيرة شديدة ملأت عليها قلبها، حتى أنها نزلت إلى أمى عدة مرات تتشاجر معها لأسباب تافهة.. وعلى

الجانب الآخر كانت أمى تتحملها.. كانت تدرك ألمها وأنها سيدة طيبة ليس لديها ما تفعله إلا هذه الجعجعة الفارغة، فكانت تمتص غضبها قدر المستطاع، وغالبا ما كانت الأخرى تجهش بالبكاء فى حضن أمى بعد كل مشاجرة.. ثم يأتى أبى ليعنفها ويضربها ضربا مبرحا سواء أمامنا أو فى شقتها أمام بناتها ويأمرها أن تبتعد عن (أم الولد)..كأنه يتعمد إهانتها فى كل وقت وكل مكان.. و كنت أحيانا أتعاطف معها وأحيانا أجد من قلبى جمودا.. ربما هو التدليل الذى أمات قلبي بهذه الطريقة؟

حتى جاء ذلك اليوم..

كان أبى يصعد السلم رويدا رويدا.. يبدو مرهقا، وعلى عينيه تظهر علامات غضب مخيف..

يبدو أن هناك شيء ما يتعلق بمحل الجزارة.. محله هذا يربح أموالا طائلة، وهو فائق الشهرة.. أجود أنواع اللحوم ونظافته وكثرة عماله جعلت زبائنه يأتون من أقصى الأماكن ليظفرون منه باللحم، وكنت لا أراه فى هذه الحالة إلا إذا تعرض لمشكلة كبرى فى المحل..

غالبا هناك أحد العمال قد سرقه وهو سوف يؤدبه ليلا.. وقد رأيته ذات مرة يفعلها مع شاب صغير سرق منه لحما وأمسكوا به.. كان قد سرق مقدار ثلاثة كيلو جرامات، والعقوبة هى قطع ثلاثة أصابع..

كان أبى قاسيا..

نعم..

ولكنى أظن أنه لو لم يفعل ذلك فلسوف تنهار تجارته ويسرقه كل من يعملون لديه..

وعندما دلف إلى منزلنا، كانت زوجته الأولى تتسامر مع أمى.. ربما هى المرة الأولى التى تجلس معها بود منذ البداية دون عراك مسبق.. ربما كانت قد استسلمت للوضع الحالى رغم كل شىء..

لكن..

عندما شاهدها أبى تقافزت أمام عينيه شياطين الغضب.. لست أدرى ما الذى دار بخلده فى هذه اللحظة..

فجأة زادت سرعته، وانقض على زوجته الأولى وكال لها لكمة أودعها كل قوته وغضبه ويأسه وإحباطه وكل ما كان يثير نفسه..

لكمة هائلة دارت رأس المسكينة على إثرها فى عنف وصاحبها صوت قرقعة مخيف صدر عن عنقها..

شهقت أمى ووضعت يديها على فمها تكتم صرختها.. بينما تكومت الأخرى على الأرض شاخصة العينين، وببطء بدأ يسيل من فمها خيط دماء..

وقف أبى مذهولا للحظات ينظر إليها وقد بدا عليه أنه أفاق مما كان يثير غضبه لينتبه للمشكلة الأكبر.. هل ماتت؟

هل قتلها؟

ارتجفت شفتا أمى فى همس مرعوب:

لماذا؟

لماذا؟

زاغت نظرات أبى وهو ينظر نحو الجثة ثم يدير عينيه إلينا كأنما يستنجد.. كانت عيناه غريبتان جدا.. زائغتان بشدة.. علامات المخدرات كما عرفتها لاحقا!

أمي قالت بصوت مرتجف:

ـ هل عدت لشرب ذلك الهباب؟

لماذا؟
لماذا؟
لماذا؟

كانت تبدو وكأنما أصيبت بصدمة عصبية.. بينما انحنى أبى دون كلمة، وبصعوبة حمل زوجته الأولى ودخل للحمام..

لكنها.. لكنها لم تكن ميتة!

سمعتها تتحشرج وهو يحملها.. عيناها الشاخصتان تحركتا ولسانها تدلى من رأسها..

إنها حية..

حية يا أبى..

صرخة صرخت بها فى داخلى لكنى لم أنطق بها قط..

أخذت المسكينة تتحشرج بصوت ضعيف، ولكن..

لم يبد عليه أنه قد سمعها..

ولكنى سمعتها..

رأيت عينيها تنظران نحوى فى خوف..

فى فزع..

فى رجاء متوسل..

نظرة رأيتها مرارا فى عيون الحيوانات التى يذبحها أبى!

وضعها فى الحمام، ثم عاد لأمى واحتضنها برفق وأخذ يتمتم لها بكلام لم أتبينه.. واضح أنهما لا يدركان وجودى أصلا..

كانت أمى ترتجف ثم انكمشت على نفسها جالسة وأجهشت بالبكاء..

تركها أبى واتجه نحو باب الشقة يوصده جيدا..

وعاد للحمام..

ظل فى الحمام وقتا طويلا وسمعت صوت ماء يجرى..

سمعت بعض الدقات.. احتكاكات.. باختصار سمعت أصواتا مألوفة لمن

يملك محلا للجزارة!

وعندما انتهى مما يفعله، خرج وأحضر جوالا، وبعض الأقمشة البيضاء، ثم دلف للحمام مرة أخرى..

عندما خرج للمرة الثانية كان معه لحم وجوال عظم ولفة ثالثة..

من أين أتى اللحم؟

نعم.. كما فهمت سيدى الفاضل تماما!

ثم هبط للمحل..

ووسط كل ذلك لم يبد على أمى الاهتمام قط بما يفعله، وكل ما كانت تفعله هو أنها كانت تبكى وتبكى وتبكى..
لم تكن تدرك ما الذى يحدث بالضبط، بينما كان الموضوع شديد الإثارة بالنسبة لى..
انتهزت فرصة نزول أبى، ودلفت للحمام لأرى ماذا هناك على أمل أن أجد أى أثر.. ولكن..

لا شيء.. رائحة دماء ذبيحة فى الجو ولا شيء آخر.. المكان نظيف..

ولكن..
أين زوجة أبى؟
ومن أين جاء ذلك اللحم الذى نزل أبى ليبيعه فى المحل؟
هل..؟
مذاقها جيد؟

* * * * *

بالطبع لم يكن هذا سؤالا يليق بطفل، لكن صدقنى هذا ما فكرت فيه فحسب.. هل مذاقها جيد؟ أريد أن أتناول هذا اللحم بشدة.. منظر قطع

اللحم الوردى الجميل أثارت شهيتى!
هبطت خلف أبى لمحله، وهناك وجدت أبى يضع لحما فى المبرد الكبير، ثم التفت ليغلق باب المحل عندما وجدنى واقفا أحدق فيه.. ظل واقفا ثوان، ثم تخطانى وأغلق الباب وأمسك بى من يدى ودلفنا للمحل حيث آلة الفرم الكبيرة..

قام بضغط زر تشغيلها، ثم أخرج كفا من الحقيبة.. كف زوجته الأولى..

تأملها ثوان ثم وضعها فى المفرمة العملاقة لتسمع على الفور صوت الطحن!

ثم انحنى على الكيس وأخرج قدما..

ثم يدا أخرى..

ثم عضو ما لا أعرفه..

ثم قدم..

وكان واضحا جليا أنه لا يريد أن يمس الرأس التى تتبدى بوضوح أسفل الكيس الذى فيه القطع..

فى النهاية وقف يغمره العرق يحدق فى الكيس.. ببطء أخرج الرأس، ووقف يفكر ثوان، ثم أحضر سكينا عملاقا وبصعوبة (لأن أطرافه متيبسة) جز الشعر من على رأسها، وكوم الشعر ووضعه فى كيس بلاستيكى ووضعه جانبا، ثم وضع الرأس فى المفرمة القوية!

نعم..

وزاد على ذلك أنه أخذ يعيد فرم كل البقايا والعظام مرة ثانية حتى أصبحت ناعمة تماما.. وجمع كل ذلك ووضعه فى أكياس ووضعها فى المبرد الخاص بطعام الكلاب الأليفة!

كانت عيناه زائغتان طوال الوقت فاغرا فاه.. كمن يسير وهو نائم أو تحت تأثير المخدرات.. لاحقا قرأت أن هناك نوع من الناس ينفصلون تماما عن الواقع أثناء ارتكابهم الجرائم.. ويبدو أن هذا ما اصاب والدى..

ما أن انتهى من (تكييس) طعام الحيوانات حتى التفت نحوى ينظر لى بعينين خاويتين.. مرت ثوان، ثم سألته فى براءة عما إذا كان بإمكاننا تناول قطعة لحم من التى جهزها الآن؟

ظل أبى صامتا ساهما يرمقنى فى دهشة.. ثم رفع عينيه للأعلى وبدا أنه يكتم دمعة حارة وقال بصوت مختنق أننا لا نستطيع..

تضايقت حقا.. لا أحد يرفض لى طلبا أبدا؛ فقلت فى غضب أنه لو لم يعطنى قطعة منها فسأخبر الجميع بما فعل..

اتسعت عيناه فى هلع.. الآن أدرك كم كان أبى ضعيفا أمامى حقا، إذ أنه بعد تردد وتوسل وصياح وكل شىء استخرج قطعة!

بل وطبخها لى فى المنزل بنفسه !

ولا أستطيع يا سيدى أن أصف لك مدى اللذة التى وجدتها فى تلك القطعة.. أعتقد أنها ألذ قطعة لحم تناولتها فى حياتى.. فطلبت منه ألا يبيع باقى اللحم.. سآكله أنا!

وماذا عن أمى؟

أصيبت بانهيار عصبى عنيف تطلب نقلها للمستشفى، لكن أبى أصر أن تعالج فى المنزل، وألا يدخل عليها أحد إلا معه وبصحبته فقط.. كان يريد ضمان سكوتها.. والحق يقال أنه حاول استرضاء أمى بكل الطرق لاحقا، إلا أنها كانت تخشاه وسكن الخوف منه تلافيف قلبها، وتئن كلما رأته يقترب منها أو يحاول حتى الجلوس على نفس فراشها.. لقد خسرها أبى للأبد..

وما زاد الطين بلة أنه بعد فترة ثقل لسانها وأصبحت تتكلم بصعوبة بالغة.. وكان التشخيص أنها جلطة خفيفة، بعدها التزمت الصمت تماما..

بالطبع كان قلبي يتمزق حزنا على أمي.. أحيانا كان أبي يعطيها قطعة لحم ويأمرها أن تطبخها لي خصيصا، فكانت تفعل ذلك في صمت ولا تمسها.. المفروض أنها لاتعرف نوع هذا اللحم لكن قلبها كان يشعر بذلك بشكل ما..

وأخواتي البنات؟ ألم يسألن عن أمهن؟

بالطبع سألن.. بل سألن مرات عديدة كثيرة وانهارت الفتيات عدة مرات، فكنا نسمع نواحهن وصراخهن يأتي من الأعلى حزنا على الأم المفقودة، ومع مرور الوقت جاءت خالتهن كي تبقى معهن وتعنى بهن.. لاحقا تقدم أبي ببلاغ باختفاء زوجته، ولكن لم يتم اكتشاف جريمته قط..

أكلت أنا جزءا يسيرا من زوجته الأولى، وشاركني فيها كلاب الزبائن !

أما أبي بعد هذه الحادثة فقد تغير تماما.. أصبح أكثر رقة ولينا في التعامل مع عماله، وطوال الوقت ترى الدموع في عينيه..

لم يكن في وعيه..

لم يتعمد قتلها!

بينما كنت أشعر أنا بالحنين دائما لهذا المذاق الشهي..

وحتى لا أطيل عليك؛ بعد فترة من الزمن – ربما عشر سنوات من هذه الحادثة – كانت تجارة أبى تنهار أو تكاد نتيجة تراخيه المستمر، كنت قد أصبحت شابا واعيا قويا قادرا على إدارة المحل..

طلبت من أبى أن أكون مكانه بعض الوقت..
تردد قليلا فى البداية، إلا أنى أقنعته أن يجربنى ويراقبنى، وأنى نضجت ويجب أن أساعده الآن لأنى ابنه الوحيد، فرحب بذلك فى سرور مشوب ببعض الخوف على من السوق، ورغم كل شيء فابنه أخيرا صار رجلا ويستطيع إدارة ممتلكاته وأعماله! ومن فرحته أقام افتتاحا جديدا للمحل تحدثت عنه المناطق المجاورة!

بالفعل أمسكت أنا المحل وعدت لأقيم تجارته كما كانت قديما وأقسى؛

حتى أنى اشتهرت بأنى (أفرم) يد من يحاول سرقتى فى المفرمة كما اشتهر أبى بقسوته قديما.. وللحق..

فعلتها مرة واحدة فالتزم الباقى أيما التزام!

والآن..
سأختصر عليك الكلام وأخبرك بما أود قوله..
أنا أؤدى دورا اجتماعيا بالغ الأهمية.. ألا تلاحظ حولك انعدام الشحاذات تقريبا؟

حسنا..
أنا أتناول ما يكفينى من اللحم، وأنا أيضا من أكبر موردى طعام الكلاب الأليفة فى مصر وبأرخص سعر واعلى جودة، يعاوننى فى ذلك اثنان من

مساعدى المخلصين.. بل وقد تخلصت ذات مرة من امرأة منافسة والتهمتها وأصبحت تجارتى أوسع..

بدون سخرية أنا أمارس التهام المنافسين بالمعنى الحرفى للكلمة !

سيدى..

أنا لم أستطع البوح بهذه الأسرار لأحد من قبل لأن المجتمع لن يتقبلها..

لكن..

سبب رسالتى الطويلة هذه هى..

أنى – وعن طريق الخطأ – قد التهمت زوجتك!

والسبب..

لا بد أنك خمنت أن زوجتك هى نفسها المرأة المنافسة لى.. واعترافى هذا لابد أنك قد خمنت من أنا!

صدقنى يا سيدى لا شىء يديننى على الإطلاق، ولن تستطيع الوصول إلى مهما حاولت، فلا بصمات ولا بقايا ولا شىء.. صدقنى انا حذر للغاية، فحتى هذه الرسالة مبعوثة عن طريق لا يمكن تعقبه، وهى ليست بخط اليد كما لاحظت وإنما هى مجرد رسالة ألكترونية مجهولة المصدر!

لقد شرحت لك ما أودى بى لهذه الظروف، وأرجو منك تقبل اعتذارى..

ربما تكون سعيدا بما حدث، فقد كنت أعلم انكما كثيرا الشجار.. أتمنى أن تكون سعيدا يا سيدى..

عموما لقد أرسلت لك هذه الرسالة وأرجو عدم نشرها لأن عدم التصديق هو الحال هنا وسيتهمونك بالجنون أو أنها دعابة ثقيلة.. فقط أنا أعتذر لك، ومع وصول الرسالة إليك سيصلك طرد على باب البيت يحوى قطعة فاخرة من اللحم أرجو تقبلها كاعتذار.. نعم هى من زوجتك.. لابد أن تذوق لحمها، وهو أقل شيء يمكنني تقديمه لك.

تقبل وافر تحياتى واحترامى.

تمت

* * * * *

أنهيت القصة وتراجعت فى مقعدى مندهشا جدا! عن أى شىء يتحدث هذا المخبول؟ إن زوجتى مازالت فى الصالة سليمة لم يمسها سوء، ولكن..

فجأة هاجمتنى ذكرى قريبة لأحد الكتاب المشهورين الذى فقد زوجته!

أنت تعرفه، ذلك الذى يكتب مشاكل الناس ويرد عليهم مثل (عبد الوهاب مطاوع) رحمه الله، وإن كانت الجريدة غير مشهورة جدا.. زوجته اختفت بلا أثر، وهى أيضا تملك محل جزارة راق للغاية فى مدينة نصر، أذكر أنى كنت قرأت الخبر بشكل عابر! وأيضا أعرف يسكن فى نهاية الشارع الذى أسكن فيه!

أيعقل هذا الكلام؟

هل من الممكن أن تكون هى ذاتها نفس المرأة؟ ويكون الكاتب قد أخطأ وبعث برسالته لى سهوا وإنما كان يقصد الآخر؟

شعرت بانزعاج.. كما شعرت بالشعر ينتصب على ساعدى! تخيل أن يبعث لك أحدهم قطعة لحم من.. بالمناسبة أنا لم أتلق أى لحم!

عموما، أرسلت الرسالة لأحد أصدقائى فى الشرطة ليتحرى عنها وعن مرسلها، وعدت أفكر مهموما فى شىء آخر..

وعلى الجانب الآخر فهذه ليست رواية أبدا.. هذه قصة قصيرة فحسب، وقطعا لن أصل للعالمية بقصة قصيرة عن جزار يحب اللحم البشرى!

تصاعد صوت أذان الفجر من المسجد القريب يغسل كل هموم روحى بصوت المؤذن الشجى.. أخذت أستمع إليه بنشوة تساعدها نسمات الصباح، وتزعجنى فيها أصوات الكلاب.. لماذا تنبح الكلاب مع صوت المؤذن وتعوى هذا العواء المخيف؟

المهم، نهضت من مكانى وتثاءبت، ثم توضأت بماء بارد منعش ونزلت لأصلى.. عدت بعدها بنصف ساعة تقريبا حاملا الإفطار الشهى.. فول ساخن وليمون وبصل وخبز طازج.. إنهم هنا يفطرون وينامون، بينما أذهب أنا لعملى وأعود لأنام.. اختلاف الأوقات هذا يعطينى فرصة جميلة للانفراد بنفسى لساعات قليلة كل يوم تمكننى من.. فعل لاشىء فى الواقع!

فرشت الجرائد على الأرض، ووضعنا الفول والبيض والخبز السخن والبصل والجرجير وبدأنا نأكل.. زوجتى تسألنى بفضول عما كتبته فأحكى لها باقتضاب.. تتسع عيناها وتقول أن أحداث هذه القصة حدث منها أجزاء بالفعل.. أبتسم وأخبرها بالإيجاب..

زوجتى تعشق الكلام والصخب والحياة والخروج، بينما أحب أنا أن يكون المنزل غارقا فى بحر من الهدوء.. هى برج الأسد وأنا برج الثور..

يقولون أن زواج هذين البرجين خطأ، ولكننا تزوجنا على كل حال!

أنهيت الإفطار، وقمنا لنصنع شاى الصباح، بينما تثاقلت عيون الأطفال وناموا..

ياللهدوء..

بعدها بقليل ذهبت لعملى.. فى هذا اليوم كدت ألقى حتفى!

* * * * *

اَلْحَادِثُ

ما حدث هو:

كنت راكبا حافلة صغيرة متوجها لبيتى بعد يوم شاق والجو معتدل جميل.. اليوم فضلت أن اترك السيارة وأذهب بالمواصلات، لأنى سأقابل صديقا بعد العمل ولا أريد أن أتقيد بركنة السيارة فى مكان مزدحم تحت رحمة سايس.. قابلته بالفعل وظللنا معا حتى المساء، فودعته واستقللت هذه الحافلة..

كنت جالسا جوار النافذة وأشعر بالاستمتاع.. الهواء المنعش البارد والأضواء المتسارعة جوارى..

نظرت لساعة الهاتف.. إنها التاسعة وخمس دقائق..

أريد أن أعود سريعا لأنام.. كل خلية فى جسدى تتمنى النوم..

الجو به لسعة برد خفيف والسائق يقود بسرعة جنونية، لكن هذا أمر معتاد.. الغير معتاد أن تجد سائقا يقود بهدوء وحينها يجب أن تشعر بالخطر.. فى بلدنا التهور هو اسم اللعبة..

وبسرعته العالية هذه بدأ صعود الكوبرى.. أحسست بجسدى ينضغط لأسفل تحت تأثير السرعة العالية ونحن نصعد لأعلى.. كم أحب هذا الشعور..

وبينما هو يجرى مسرعا سمعت صوت صراخ العجلات، وهى تجاهد لتوقف السيارة وجسدى يرتمى للأمام بعنف بسبب القصور الذاتى.. ثم..

طاااااااااااااااااخ..

ارتطام رهيب..

لا أفهم شيئا..

قمت من على أرضية الحافلة.. لا أذكر متى سقطت من على الكرسى أصلا !

لحسن الحظ أنها غير مزدحمة فى مثل هذا الوقت، وإلا لأصبحنا كاللحم المعلب غير القابل للفصل.. لا أستوعب حقا ما حدث..

ماذا حدث؟

أذناى تصفران بشدة.. صوت الصراخ فى كل مكان.. لماذا يصرخون؟

لا أشعر أنى فى كامل وعيى.. أشعر بأرجحة خفيفة..

الناس تقفز من الخلف عبر النوافذ الخلفية.. والحافلة تتأرجح أرجحة عنيفة للأمام وللخلف.. جريت معهم – دون إرادتى فى الواقع – وهناك من يدفعنى.. ثم وجدتنى فى الشارع.. لا أدرى فعليا كيف خرجت.. أنا هنا (مفعول به) بالكامل!

والآن أرى المشهد المروع كاملا..

الحافلة معلقة على حافة الكوبرى.. جزء منها يتدلى للخارج، وتتأرجح بفعل الوزن البشرى الذى يحاول الفرار من الموت.. وأمامنا سيارة محطمة من الأمام ومن الخلف كأنها علبة مياه غازية سحقتها قدم قاسية.. وأمامها ميكروباص نصفه محطم..

الآن أفهم..

الآن أدرك ماحدث.. مع رائحة البنزين القوية التى تغرق المكان أفهم

وأسمع الناس يصرخون وهم يلملمون أنفسهم ويجرون فى كل مكان..
السيارة الوسطى يتناثر منها الشرر مهددا بتحويلنا جميعا إلى لحم
مشوى.. أو محترق!
بينما الجزء الفارغ من الطريق ملىء بسيارات زادت سرعتها بصورة
جنونية، كى لا يصيبها شىء من الانفجار الوشيك.. لا يهم أن تدهس

واحدا أو اثنين فسيموت بعد ثوان على كل حال.. وربما كان الموت دهسا

أفضل من الموت حرقا!
لم أشعر إلا برجل شهم أوقف سيارته ليحملنى فيها مع من استطاع من
الناجين وينطلق مبتعدا عن الجحيم الوشيك.. وكأفلام المغامرات شعرت

بانفجار خلفى ولفح الحرارة يلهب مؤخرة سيارة الشهم..

لم أكن أقرب للموت يوما من هذا اليوم!
وقفنا على جانب الطريق نتابع مايحدث فى الأعلى، نريد تقديم يد
المساعدة لكن ماذا نفعل؟
وسرعان ما جاءت سيارات الإسعاف والمطافىء واكتظ المكان
بالفضوليين، وبدأنا نرى عدة محفات تحمل من لم يكتب له الله عمرا بعد
اليوم!

ظللت هناك أراقب الموقف ربما لساعة أو يزيد.. وعيى ذهب فى مهب

الريح، وأرتجف فرقا ورعبا.. يالها من ميتة رهيبة!
وقفت أشير لسيارة أجرة، ودون وعى أيضا عدت لمنزلى مشتتا أفكر فى
أفكار كثيرة غير مترابطة..

ربما فى لحظة من اللحظات لم أتخيل أنى سأعيش لأحكى ذلك..

وربما لو كنت مت فى هذه الحادثة، لم أكن سأدرك وقتها أنى مت..

كل شيء حدث بسرعة شديدة..

الغريب جدا أنى بمجرد عودتى للمنزل لم يعد هناك أثر لهذه الحادثة فى وجدانى إلا بقايا تدفق الأدرينالين فحسب! ولا تسألنى من أين أتيت بهذا البرود!

ربما أن ما رأيته خلال حياتى جعلنى أتجاوز هذه الأزمات سريعا..

* * * * *

استغرقت فى نومى بعد عشاء سريع، واستيقظت فى الرابعة فجرا..

رائع.. الكل نائم ولدى وقت طويل أكتب فيه رواية ـ أبدأ فيها على الأقل ـ لكنى كنت أفكر.. الأفكار تتصارع فى رأسى، وكلها ذكريات سيئة.. لا أكتب شيئا إلا إذا كان له أساس من الواقع..

أخذت أفكر، ثم فتحت الرسائل لأرى ماذا تحوى أيضا..

هراء..

هراء..

المزيد من الهراء..

ثم عشرات التسجيلات الصوتية على برنامج المحادثة (ماسينجر) ومدة كل منها دقيقة واحدة، يحكى فيها شخص ما حكاية بصوت مرتجف..

هنا.. أصابنى الإعجاب، والذهول، والخوف، والفرح.. هذه حكاية ممتازة..

هكذا أخذت أستمع لها فى لهفة، وأسجل كلمة كلمة وأعيد صياغتها بشكل أدبى لائق.. صحفى على قدر من الشهرة يبعث لى أنا بهذه الـ(حدوتة) ويدعى أنها واقعية.. رغم كل شيء فأنا محظوظ!

ياكريم يارب..أخيرا فكرة ممتازة!

هَاْتِفٌ أَسْوَدٌ

كنت جالسا فى مقر الجريدة أتابع بعض الأخبار العالمية استعدادا لكتابة مقال اليوم عندما سمعت رنين هاتفى وشعرت بهزته المميزة..

لم أكترث.. لا بد أنها زوجتى تريد شيئا.. ما أن تتزوج حتى تصبح عبدا للهاتف وعبدا للنساء.. تبا..

ارتفع الرنين مرة أخرى.. لن أرد..

فترة صمت قصيرة ثم ارتفع الرنين للمرة الثالثة.. حسنا.. أخيرا نظرت للهاتف..

إنها ليست زوجتى بل رقم غريب.. حمدا لله.. ضغطت على زر الإجابة وقلت:

– آلو.. من معى؟

– أنا عادل.. هل لديك وقت اليوم؟

– مرحبا عادل.. بالطبع عندى وقت لك ياصديقى.. كيف حالك؟ هل عدت من السفر؟ ولماذا غيرت رقم هاتفك؟

أجاب فى صوت مرتجف قليلا:

–نعم.. عدت منذ يومين وأريد أن أراك اليوم.. وبشدة..

تعجبت من ذلك.. فعلى الرغم من صداقتنا، إلا أنى لا أكاد أراه فى العام مرتين، كما أنه لم يلح أبدا هذا الإلحاح الغريب، فاتفقت معه على موعد اليوم عصرا فى مقهى قريب..

وفى موعدى كنت هناك فى ذلك المقهى الهادىء الراقى، ووجدته بانتظارى وأمامه عدة أكواب قهوة! لا بد أنه هنا منذ فترة ولكن..

لم يكن هو عادل الذى أعرفه!

كان شاحبا.. غاضبا.. مذعورا..

سلمت عليه وحاولت تقبيله ففعلها فى فتور وضيق! ماذا دهاه بالضبط؟ جلست جواره وأنا أشعر بالضيق نوعا، وفى محاولة منى لكسر هذا الضيق سألته عن أحواله فلم يجبنى!

ظل صامتا بضع ثوان ثم أخرج من حقيبة معه هاتفا خلويا كبير الحجم، يبدو قديما ومع ذلك فشاشته مصقولة لامعة بشكل غريب.. وضعه أمامى على المنضدة بحرص وأخذ ينظر إليه مقطبا بشدة دون كلمة.. هل يريد أن يبيعه إياى أم ماذا؟ هل هذا هو السبب؟ غريبة.. ثوان مرت ثم تنحنحت وقلت له بصوت بدا فيه الاستغراب:

ـ ماهذا؟

ـ سأحكى لك..

أخذ نفسا عميقا، ثم قال:

ـ أنت تعلم أنى كنت فى رحلة إلى شرق آسيا.. رحلة عمل تجولت أثناءها فى البلاد ورأيت الكثير من المعالم، ثم كنت فى مرة مع صديق لى

نسير فى إحدى حفلات الملاهى العشوائية المتنقلة.. أنت تعلم هذه الملاهى التى تتخذ طابع الغجر وتتنقل باستمرار.. جربت معه كل شىء فيها إلى أن وصلت لذلك المحل على الطرف البعيد من الملاهى.. آخر محل فى الساحة..

محل صغير يبيع تفاهات عديدة كتذكار للأغبياء، مكتوب عليه (تذكارات تغير حياتك) !

وكنوع من الفضول وقفنا لنرى بضاعته التى بدت لى كلها وكأنها قمامة نظيفة.. آلات تصوير.. قبعات.. ساعات.. قلادات وخواتم.. لاشىء يجمعها سوى اللون الأسود.. لا توجد أى علامة لأى شركة على أى شىء على الإطلاق..

أخذت أتأمل المعروضات بعين لا تبحث عن شىء معين، ثم لفت انتباهى ذلك الهاتف..

المنتج الوحيد الذى يوجد منه قطعة واحدة فقط..

مددت يدى والتقطه أفحصه فلم يمانع البائع.. يبدو جيدا وشاشته جديدة تقريبا.. بل هى كما تراها الآن ربما أفضل من بعض الشاشات الجديدة..

لوحت به أمام البائع وسألت عن سعره.. كان البائع رجلا صينيا نحيلا فى الثلاثينات ربما، بدأ الصلع يزحف على مقدمة رأسه بينما ترك بقية شعره طويلا وذقنه نامية نوعا، يراقب المارة بلا اكتراث من وراء نظارة صغيرة جدا لا أدرى كيف يرى من خلالها..

نظر لى برهة ثم مد يده وقال بانجليزية مضحكة:

- أعطنى يدك من فضلك..

اندهشت من الطلب الغريب لكنى أعطيته يدى فى توجس.. أمسك يدى بطريقة غريبة كمن يقيسون النبض وأغمض عينيه ثوان، ثم فتحهما وابتسم وترك يدى قائلا:

- هى لك يا سيدى.. بضاعتى لا تصلح لأى شخص، ثم طلب ثمنا زهيدا..

أما صديقى فوجد قلادة سوداء وطلب أن يعرف ثمنها.. وكما فعل معى أمسك البائع يده، ثم قطب جبينه.. وبهدوء شبه غاضب ترك يده ورفض البيع!

قال له أنها غير مناسبة له.. شىء عجيب حقا.. أصر صديقى على شرائها، وأصر البائع على عدم البيع!

هنا قال صديقى للبائع أنه سوف يأخذها مهما كان الثمن فرد عليه البائع بهدوء:

- خذها ولكن تذكر أنك أنت اخترت ألا تصغى..

ثم عرض ثمنا باهظا فعلا.. صفرت بفمى من الدهشة وارتفع حاجبا صديقى فى ذهول، ثم دفعه العند لأخذها..

عدنا للفندق، وأنا سعيد بما حصلت عليه، بينما يشعر صديقى بالحماقة.. وضع القلادة حول عنقه، بينما دخلت أنا إلى حجرتى مباشرة..

طبعا فى اليوم التالى وجد عمال الفندق صديقى ميتا !

نعم.. كان يوجد على رقبته آثار خنق بشىء معدنى، ولا يوجد أداة جريمة فى الحجرة، كما لم يسرق شىء..

والقلادة؟ اختفت طبعا..

لم أشك فى شىء ما وقتها.. حزنت عليه بشدة، وبمرور الأيام وانخراطى فى العمل نسيت أمر الهاتف الذى اشتريته ولم أستخدمه، إلى أن وجدته أمامى على المنضدة ذات يوم.. تعجبت من مكانه هذا خاصة وأنى لم أخرجه من مكانه فى الدولاب.. فعلا لست أدرى كيف وصل إلى هناك..

وخطر لى أن أجربه، فوضعت فيه شريحة وفتحته..

فتح مباشرة على شاشة سوداء لا توجد بها أى معالم.. لا توجد علامة لأى شركة مصنعة.. ليس هناك خلفية.. لا برامج ولا أيقونات ولا شىء.. فقط فى منتصف الشاشة رسمة السماعة علامة الاتصال وكفى.. لمستها لأجد الأسماء متراصة أمامى بلون أسود على خلفية رمادية.. فقط!

أول اسم فى القائمة كان اسم أخى المقيم فى مصر.. حسنا، ولم لا؟

اتصلت بأخى فى مصر على سبيل التجربة.. لم يتصل أو لم يظهر أنه يتصل، إنما بدلا من ذلك وجدت الشاشة تعرض فيديو لأخى يسير فى الشارع مع زوجته وابنه.. صورة عالية الدقة والوضوح من غير صوت وكأن هناك كاميرا تتبعه..

أخذت أصيح عسى أن يسمعنى دون فائدة.. يبدو أن السماعة أو شيء ما هنا غير سليم.. هاتف معطوب! لكن ما هذه التقنية التى تصوره من خلفه على أى حال؟

هناك شيء ما غريب..

أنهيت الاتصال واتصلت به مرة أخرى لأرى ما سوف يحدث.. نفس الصورة، وإن كانوا قد دخلوا محلا للملابس هذه المرة..

غريبة جدا!

أنهيت الاتصال، وظللت أحدق فى الهاتف للحظات.. حتى الرسالة التى تخبرنى عن بقية رصيدى لم تظهر !

فلأجرب مرة أخرى.. بمن أتصل؟

بعد تفكير اتصلت بصديق لى يعيش فى الولايات المتحدة، وكما توقعت نفس الشيء..

رأيته جالسا فى منزله يتناول طعاما ما ويطالع الأخبار فى التلفاز.. كانت الصورة تدور حوله ببطء.. و لفت انتباهى أنه لا يوجد حوله أى هاتف!

كما أن جواره مرآة، ولم أر من يصوره مثلا رغم أنه احتمال بعيد للغاية!

معقول؟

طبعا حاولت الكلام معه والكثير من (هالو) و(هاى) ولا مجيب..

أنهيت الاتصال وأخذت أفكر مرة أخرى.. أنا لا أصدق هذا الهراء، ولكن..

هل وقعت على هاتف سحرى؟

أخذت أهرش فى رأسى وأنا أحدق فى الهاتف.. هاتف سحرى! هذا كلام فارغ ولكن ما التفسير العقلانى؟

خطر لى أن أتصل بزوجتى العزيزة فى مصر..

بحث عن اسمها..

لمست زر الاتصال..

ورأيتها..

كانت فى المنزل تعد طعاما ما فى المطبخ وترتدى ملابسا خليعة نوعا أعشقها عليها.. وما لبثت أن وضعت الطعام على صحفة وحملتها..

الطعام كثير نوعا، لكنى أعرف أنها وقت الاكتئاب تأكل كثيرا.. حبيبتى لابد أنها مكتئبة لابتعادى عنها.. ودخلت حبيبتى إلى غرفة النوم حيث ينتظرها ذلك الرجل !

ندت منى شهقة فزع وألقيت هاتفى على الأرض فى ذهول، ودون تفكير نهضت وأحضرت هاتفا آخر واتصلت بها وأنا أغلى..

ردت على سريعا بصوتها الرقيق..

صرخت فيها:

- أين أنتِ؟

ردت فى دهشة أنها عند أمها.. فقلت لها بصوت كالصراخ:

- أعطينيها..

أتانى صوت أمها ترد على فى دهشة أن ماذا هناك يا بنى؟

لم أفهم..

ولم أعرف ماذا تقول الأم فى الهاتف بالضبط.. أنهيت الاتصال بكلام غير مفهوم وأنى أفتقدها وكل هذا الكلام، ثم عندما عدت للهاتف الأسود الملقى على الأرض وجدت المشهد الشنيع يتواصل بما لايجب أن أحكيه! بأصابع مرتجفة أنهيت الاتصال بينما نار الغيرة وفوران الغضب يأكلان قلبى وجسدى حرفيا!

ما معنى هذا؟
هل يعرض المستقبل؟
هل هذا ماضى؟

مستحيل.. أنا أثق فى زوجتى جدا جدا..

ولكن..

ماهذا الذى رأيته؟
ثم خطر لى فكرة مجنونة فجأة لا أدرى لماذا خطرت على بالى الآن تحديدا ووسط كل هذه المشاعر السلبية..

ماذا لو اتصلت بشخص متوفى؟

ماذا لو اتصلت بشخص ميت؟

* * * * *

أمسكت بالهاتف بيد مرتجفة وأخرجت اسم صديقى المتوفى قريبا والذى اشترى القلادة..

وضغطت زر الاتصال..

ثوان مرت والشاشة تعرض سوادا..

فجأة ظهر صديقى على الشاشة من ظهره جالسا فى حجرته يكتب شيئا..
ثم مد يده وأمسك القلادة ووضعها داخل منديل أو ظرف، ووضعها داخل الرسالة التى كتبها، ثم أغلقها ووضعها على المنضدة أمامه..

ثم وقف أمام المرآة يخلع ملابسه ويستعرض عضلاته ويفعل كل تلك الأشياء التى يفعلها الرجال وحدهم ولا يجرؤ أحدنا على فعلها أمام أحد..

يتمايل ويرقص ويغنى.. وعندما أعطى ظهره للمرآة لم يفعل انعكاسه مثله!

تجمد تماما..

ومد الانعكاس يده وأخرجها من المرآة نحو المنضدة القريبة و..

سحب الظرف الذى فيه القلادة إلى داخل المرآة و..

قطع الظرف وأخرج القلادة.. كل هذا ولم ينتبه صديقى..

أمسك انعكاسه القلادة وطرق زجاج المرآة من الداخل، وعاد يتظاهر أنه مجرد انعكاس برىء..

صديقى انتبه للطرقات..

نظر للمرآة فى تعجب..

توجه إليها..

الانعكاس يفعل مثله..

فجأة يخرج الانعكاس بالقلادة من المرآة و.. و..

يخنقه بها !

الذعر والألم يرتسمان بوضوح على وجهه، وعيناه تحتقنان بالدماء، ورويدا رويدا يرتخى جسده و.. يموت..

ثم يسود الظلام الشاشة اللعينة!

تركت الهاتف من يدى مرتجفا.. ما معنى هذا؟

هل يعرض الهاتف اللعين الحقائق أم الهواجس؟ هل يعرض ما يحدث أم ما سوف يحدث أم هو مجرد انعكاس لما يوجد داخل نفوسنا فحسب؟

كل هذه الأسئلة خاطئة..

لا أعرف ولا أفهم، فقررت أن أفعل شيئا مجنونا.. رغم كل شيء مازالت نفسى ثائرة على زوجتى..

سآخذ أجازة وأنزل إلى مصر..

لو لم تخنى زوجتى بعد، فلربما تفعلها فى المستقبل.. ربما ابتعادى هذا له أثر فى نفسها..

ربما..

لا أريد التفكير..

هكذا قدمت على أجازة لمدة شهر على حسابى لظروف عائلية طارئة وعدت لمصر وفى جيبى جهازى اللعين الذى لم أجروء على استخدامه مرة أخرى..

* * * * *

كان استقبال زوجتى لى حافلا، وكذلك أمها وبناتى الاثنتين.. بمجرد أن رأيتهم أشرقت الدنيا من جديد فى عينى وبدأت أشعر أن كل ما رأيته مجرد هراء لا أساس له من الصحة.. زوجتى تحبنى بالفعل ولقاؤها بى خير دليل على ذلك.. ربما كل هذا كان مجرد حالة نفسية سيئة بسبب مقتل صديقى؟

لا أدرى.. لم أكن أبدا ممن يهلوسون لهذه الدرجة!

قضيت يومين جميلين ناسيا فيهما الهاتف الأسود اللعين، إلى أن وجدته إحدى بناتى وهى تلعب !

نعم.. كما ظهر لى سابقا دونما منطق، وجدته هى الأخرى دونما منطق.. أخذت تعبث فيه، ولحسن الحظ لم تتصل بأحد..

والغريب أن بطاريته كما هى.. مشحونة بنسبة مائة بالمائة !

كنت مارا جوارها وقتها، فأسرعت وأخذته من يديها ونهرتها عن العبث بأشيائى مرة أخرى وهى انخرطت فى البكاء قائلة أنها وجدته فحسب، لكن كان بداخلى بركان اشتعل فجأة..

هل كل ما كان مجرد تهيؤات حقا أم أن هناك شيء؟

وسط شرودى ارتفع صوت زوجتى من المطبخ تقول أن أمها سوف تأتى اليوم.. حماتى العزيزة.. وهنا تلاعبت الفكرة بعقلى، لماذا لا أتصل بحماتى العزيزة هذه لأرى ما تفعله الآن؟ وبالمرة أتأكد ما إذا كانت مجرد هواجس أم أن الهاتف به شيء ما حقا..

اتصلت بها.. بشغف حقيقى اتصلت بها.. لن تصدقنى ولكن الموضوع على الرغم من كل شيء لا يخلو من متعة.. وظهرت حماتى على الشاشة..

ظهرت جالسة جوار زوجتى تملأ عقلها سما تجاهى !

كيف عرفت؟

لقد ظهر صوتها واضحا جليا هذه المرة يا صديقى !

تقنعها بطلب الطلاق منى والزواج من ذلك الفتى الثرى الذى يتمنى تقبيل تراب قدميها لترضى..

تخبرها أنها تأخذ ذهبها وتهرب ثم تطلب الطلاق وترمى لى الأطفال لتمرح هى بحياتها.. وتخبرها أنى مجنون ولربما آذيتها.. وتخبرها وتخبرها وتخبرها.. أغلقت الهاتف وظللت جالسا مشوش الذهن.. أهذا حق أم باطل؟

نهضت من مكانى وأخذت أساعد زوجتى فى الطعام وأنا بالفعل غارق فى التفكير والشرود، وما أنا انتهينا حتى دخلت تغتسل وترتدى ملابسا أخرى..

نفس الملابس التى رأيتها فى الفيديو !

أهى مصادفة؟

دق قلبى فى عنف شديد، ثم دق جرس الباب فجأة جعلنى أنتفض مما أثار ضحك زوجتى وأطفالى..

إنها حماتى بلا شك.. ذهبت إليها وفتحت الباب لأرمقها بنفس ملابس الفيديو هى الأخرى !

ظللت واقف أحدق فيها، بينما ضحكت هى ودفعتنى كى تدخل وهى تتساءل بلطف ما إذا كنت لا أرغب فى دخولها أم ماذا..

اشعر بالدوار يكتنفنى بعنف.. هل معنى هذا أنى وزوجتى سوف..؟

لالالالا.. هذا غير صحيح بالقطع..

المهم، استفردت حماتى بزوجتى قليلا، ثم نزلت من منزلى وذهبت لمنزلها القريب، بينما جلست زوجتى شاردة.. طلبت منى الحديث فى أمر مهم.. أتدرى ما هو؟

نعم يا صديقى.. تريد الطلاق !

والهاتف هذه المرة كان يعرض الحق.. ولربما كان يعرض الحق دوما!

تظاهرت باللامبالاة وأن تتوقف عن السخف، وأننا ربما يمكننا أن نتحدث لاحقا.. صمتت زوجتى وبدا على وجهها آثار حيرة وتخبط شديدين،

فطلبت منها أن تنام لتهدأ وغدا نتكلم، وكى تشعر بالراحة سأنام أنا فى حجرة وحدى..

لكنى لم أنم..

الغضب يكتنفنى تماما..

تسللت ليلا خارجا من المنزل، وذهبت لبيت حماتى القريب..

لا يوجد إلا شيء واحد فقط فى مخيلتى لا بديل عنه.. طرقت بابها وطلبت منها الحديث فى أمر مهم جدا.. فتحت لى السيدة العجوز الباب فدلفت بهدوء.. جلست معها فى حجرة الصالون أتحدث، ثم طلبت منها أن أنهض لأشرب من المطبخ.. كانت تتعامل معى على أنى ابنها.. أو هكذا كنت أحسب، وفى المطبخ سحبت سكينا طويلا، وخرجت بهدوء من خلفها ووضعت يدى على عنقها و.. ذبحتها!

جررت السكين تحت عنقها وتركتها تنزف وتموت.. لم أترك لنفسى العنان كى أشاهدها.. لن تصدقنى لو قلت لك أنى فعلت ذلك مغمض العينين.. على الرغم من كل شيء كنت أحب هذه المرأة!

دخلت وغلست السكين، ثم غادرت المنزل بهدوء وعدت لمنزلى.. لا شيء يديننى قط، حتى بصماتى من الطبيعى أن تملأ المكان لأنى معتاد على زيارتها..

فى اليوم التالى استيقظنا وكأن لم يحدث شىء على الإطلاق.. تحت عينى زوجتى سواد كثيف ينم عن ليلة سوداء، ويبدو أنها أعادت التفكير، وكنت أنا لطيفا لأقصى درجة ممكنة..

المهم أننا جلسنا نتكلم، قالت أنها تراجعت عن طلب الطلاق وسوف ترضخ لى ولكلام أمها!

نظرت نحوها فى شك.. سألتها عما قالته أمها بالضبط..

وضعت يدها على رأسها فى ألم وأخبرتنى أنها جاءت تقنعها بالعدول عن هذا الطلاق وأنى لابد مصاب بمرض نتيجة السفر والبعد وأنها أوصت أحد أقاربها بالبحث لى عن وظيفة أخرى ليس فيها سفر وتكفل لنا عيشة كريمة وأنها تحبنى كابنها..

ثم أخذت زوجتى تعتذر لى وتطلب منى السماح والغفران وأنها فقط كانت خائفة على البنات منى ولا تدرى كيف طلبت منى ذلك..

هنا أحب أن أقول أنها كانت تخاف منى لأنى.. مدمن! رغما عنى أنا مدمن! تأتينى نوبات رهيبة لا أستطيع فيها كبح جماح نفسى ثم أهدأ، لكنى تعالجت.. لم يعد الموضوع يجرى فى دمى! له آثار بالطبع، لكنى لم أعد مدمنا!

ألهذا صارت تخاف منى؟

أبعد علاجى الموشك على الانتهاء تريد الابتعاد عنى؟

صدمت من كلامها، ومن أن حماتى كانت فى صفى!

إذن.. ما هذا الذى رأيته بالضبط؟

أنا.. قتلت حماتى.. وكمن أفاق فجأة أخذت أبكى وزوجتى لاتدرى ما بى بالضبط.. كيف لى أن أقتل أصلا؟

اعتقدت أنى أبكى تأثرا بها لكنى صدرى كان يتمزق ألما..

بعد قليل نهضت كى تتصل بأمها.. الاتصال الصباحى اليومى، لكنها طبعا لم ترد..

لست بحاجة لأن أخبرك أنها قلقت على أمها لما وجدتها لا ترد على الهاتف، فارتدت ملابسها وذهبت إليها تطمئن و..

هل تتخيل مشاعرى فى هذه اللحظة وأنا أراها تنزل وأعرف تماما ما سوف تراه؟

أين كان عقلى؟

فى توتر شنيع ظللت أنتظر ما ستئول إليه الأحداث..

حسنا.. لقد أصيبت بانهيار عصبى حاد عندما اكتشفت جثة أمها وانتقلت إثره للمستشفى لأنى لست فى حال تمكننى من رعايتها..

ثم..

انقلبت حياتى بعدها إلى جحيم..

شبح حماتى لم يفارق أحلامى يوما..

أحلم بها كل يوم و أنا أقتلها..

تارة أحرقها..

تارة أذبحها..

تارة أخنقها..

ودائما أستيقظ مبللا بالعرق على صوت صراخها العالى..

ولذلك لم أستطع النوم بعدها مطلقا من كثره الكوابيس التى أحلم بها.. تهدمت حياتى فعليا حتى بعدما خرجت زوجتى من المستشفى ابتعدت عنى لأنها رأت الجنون واضحا جليا معى.. وللأسف عدت إلى المخدر والإدمان أهرب به من كل هذا الألم!

والنتيجة الحتمية هى أن..

انفرط عقد بيتى.. بسببى أنا.. ولا أستطيع أن أفعل شيئا..

والآن أدرك أن الهاتف اللعين لم يكن يعرض شيئا سوى الهلاوس بالفعل.. لم يعرض حقائقا قط، بل أخرج الجانب الأسود منى..

والآن.. أنا هنا معك.. أحكى لك قصتى يا صديقى..

* * * * *

كنت أستمع إليه طوال الوقت شاعرا بالذهول مما أسمعه.. لم أعهده مجنونا بهذه الطريقة، ولم أعهده كاذبا.. إن كان يعتقد أن هذه الأحداث حدثت فهى حدثت بالفعل ولكن..

ظللت أنظر إليه مطولا فى صمت لا أستطيع أن أقول حرفا واحدا..

رأيت فى عينيه نظرة الخوف، و حول عينيه هالة سوداء كثيفة جعلته أشبه بجمجمة تتكلم..

الحقيقة أنى لم يكن لدى أى تعليق على الإطلاق فظللت صامتا حائرا، فقال هو:

- سأذهب للحمام يا صديقى.. انتظرنى بضع دقائق..

أومأت برأسى فى صمت.. قام من مكانه و ترك الهاتف الأسود أمامى..

ظللت أنظر للهاتف متوجسا.. أريد أن ألمسه لكنى لا أجرؤ..

استعذت بالله من الشيطان الرجيم و ظللت أنظر إليه وأمنع يدى أن تمسه..

أين صديقى؟

لقد طال مكوثه فى الحمام حقا.. طلبت من إحدى النادلات أن تذهب لتتفقده ربما أصابه مكروه ما..

بعد قليل علا الصياح فى المقهى..

وجدوه منتحرا!

قام بحز رقبته بمطواة صغيرة كانت معه !

تقلصت أحشائى رعبا وألما لما أصابه وتجمدت مكانى تماما..بعد قليل حضرت الشرطة.. و نقلوا الجثة و قاموا بالتحقيق معى وأخبرتهم بكل شىء حكاه، تم تسجيل المحضر أنه مختل و مات منتحرا..

ياله من يوم ويالها من قصة..

انتهى كل شىء، فذهبت للبيت بعد يوم طويل من الإرهاق البدنى والعصبى.. زوجتى تكلمنى غاضبة فى الهاتف تستفسر عن سبب تأخرى لكل هذا الوقت..

رددت عليها أن صديقى مات منتحرا وعذرا للتأخير، فشهقت فى شغف وطلبت منى أن أحضر (فينو) و(بقسماط) حتى نسهر وأحكى لها كل شىء بالتفصيل!

النساء!

المهم.. دخلت منزلى واسترحت قليلا قبل أن يدق جرس الباب..

فتحت زوجتى الباب وعادت بصندوق صغير..

سألتها من الطارق فأخبرتنى فى حيرة أن لا أحد.. فتحت الباب لتجد الصندوق فحسب..

تناولت الصندوق وفتحته..

تسارعت ضربات قلبى وانعقد حاجباى فى خوف.. طبعا تعلم ماذا كان داخل الصندوق..

كان داخله (الهاتف)..

و(قلادة سوداء)..

تمت

* * * * *



انتهت التسجيلات.. تبدو كقصة رعب مترجمة أكثر من كونها أحداثا حقيقية.. لكنها مخيفة للغاية.. أخذت أفكر فى شرود عما يمكن أن يكون سببا فى وجود الهاتف الأسود! أهى أدوات شيطانية أم..

– صباح الخير..

– هاااااااااااااااااااااااااااااه..

انتفضت فى مكانى وزوجتى تضحك بينما أرمقها فى عنف.. قلبى يدق كالمجنون وأنا أنظر إليها.. دائما هى تفعل هذه (الحركة).. ترانى مندمجا فى كتابة قصة رعب فتخضنى.. اللعنة.. يوما ما سأموت فى (خضة) من هذه..

تركت المكان الذى أنا فيه ونهضت ساخطا.. سوف أرد الصاع صاعين لاحقا، لكن اليوم عندى جلسة مع (د. سالى مجدى) طبيبة الأسنان والكاتبة الرائعة.. لقد أحببت طب الأسنان على يديها.. فقط هى نزعت لى أربع ضروس وسن أمامى وركبت ضرسا (طربوش) وسنا ونابا وثلاثة من حشو الليزر وحشوان عصب !

كم هى بارعة!

الحق يقال أنى كنت مهملا للغاية فى أسنانى.. تركت كل شىء ينهار حتى أصبحت لا آكل تقريبا من فرط ألم جميع أسنانى، والسبب هو طبيب أسنان جزار سابقا.. لكنها تتعامل بآدمية حقا، وهو ما ينعكس حتى على

كتاباتها.. أنا وبناتى وابنى وزوجتى اصبحنا زبائن لديها حتى صار عندى كيس صغير ملىء بالأسنان المخلوعة!

عظام بشرية حقيقية!

عدت من عيادتها ليلا وأنا مازلت أفكر.. الأفكار تتصارع فى رأسى.. أريد كتابة رواية، لكن زوجتى – برج الأسد – فتحت الأغانى وظلت تداعب الأطفال وهم يتصايحون ويصرخون ويلعبون ويتأرجحون ويقفزون ويصرخون ويبكون و..

كفى! سأرحل من هنا!

دون كلمة حملت التابلت ونزلت لأجلس على مقهى أمام حديقة عابدين..

وأخذت أفكر.. رواية جديدة.. ماذا أكتب؟

كنت أريد دائما أن أكتب فيلما سينمائيا غامضا كما أراه.. هناك واحد يدور فى مخيلتى لا أنفك أتمنى إخراجه للوجود! أتمنى أن أكون أنا كاتبه ومخرجه ومن ممثليه ومنتجه! العديد من الممثلين كانوا يفعلون ذلك وأشهرهم أنور وجدى..

أغمضت عينيى قليلا وبدأت أرى الأحداث..

* * * * *

(خلفية موسيقية مخيفة وهادئة، يعزفها بيانو وكمان فحسب مع لمسات من آلة إيقاعية قوية)

سيارة صغيرة تسير بسرعة فى طريق صحراوى .. الكاميرا تقترب ببطء من السيارة، وتدخل من النافذة الخلفية لنرى رجلين صامتين يرتجفان بردا..

الطريق يجرى من تحتهما مع تساقط أمطار خفيفة تضفى تأثيرا رومانتيكيا على المشهد!

تخرج الكاميرا من نافذة سقف السيارة وترتفع لأعلى بزاوية رأسية، لتتحول المشاهدة إلى منظور عين الطائر ونرى السيارة تتجه نحو بقعة ضوء من بعيد ..

تطير الكاميرا بسرعة متجاوزة السيارة نحو بقعة الضوء.. نقترب بسرعة لنرى كوخا خشبيا صغيرا ذا ثلاثة جدران فحسب والجدار الرابع غير موجود أصلا..

تصل الكاميرا إليه، ثم تدور حوله فى حركة دائرية متصلة!

داخل الكوخ نرى رجلا عجوزا يرتدى معطفا حال لونه، وكوفية ثقيلة تشبه السجادة على كتفيه، ويلف رأسه بكوفية أخرى على شكل عمامة بالية.. وأمامه تطقطق بعض القطع الخشبية والفحم وهى تتوهج بلهب متراقص نتيجة الهواء العنيف، ومن حين لآخر تسمع فرقعة وسط تناثر الشرر.. ومعلق فوقها براد عملاق موضوع على مسافة بارعة بحيث يظل الماء على شفا الغليان..

ترتفع الكاميرا لأعلى مرة أخرى لنرى السيارة تتهادى وتقف جوار الكوخ ثم يسود الصمت فجأة بعدما تموت ضوضاء المحرك العالية..

تهبط الكاميرا لتجرى بين عجلات السيارة لنرى زوجين من الأحذية يسيران نحو الكوخ ولا نرى أصحاب الأحذية ولا أجسامهم..

ثم تتحرك الكاميرا ببطء من تحت السيارة وكأنها ثعبان يزحف وتقترب منهم.. في صمت نرى الغريبين يجلسان..

وتدور الكاميرا لنرى وجهيهما.. إنهما شابان وسيمان، يبدو أنهما (ولاد

ناس)، وإن كانا يبدوان خطيرين أيضا! بدون كلمة يمد الرجل العجوز يده بكوبين من الشاي الملتهب يمسكهما بيديه المجردتين بلا شعور، ثم يمسك رفشا قريبا ويبدأ الحفر!

(تتسارع حدة الموسيقى نوعا، وتتزايد ضربات آلة الإيقاع لتبدو

كضربات قلب تتزامن مع ضربات العجوز بالرفش على الأرض)
تدور الكاميرا وتتوجه نحو الأرض، ثم تغوص بين الرمال مخترقة أنسجة التربة في مشهد مبهر، لنرى أكياسا بيضاء مغلفة..
التراب يتخلخل، ثم تمتد يدا العجوز من أعلى لتخرجها وتنفض عنها التراب!
تخرج الكاميرا مع يدي العجوز لنرى الشابين يبتسمان بثقة، وتدور الكاميرا خلف العجوز ببطء، ونشاهد على الحائط ظل أحد الشابين ترتفع يده بمسدس، بينما يتراجع ظل العجوز في ذعر، ثم نسمع دوي الرصاصة (ممتزجا بضربات موسيقية قوية تشبه انفجار الرصاص)،

وظل الدماء تنفجر من ظل العجوز..

ثم يسقط على الأرض (وتخفت حدة الموسيقى ليسود صوت الأمطار

فحسب)..
وتعود الكاميرا للشابين وهما يجمعان أكياس المخدرات، ويعودان بهدوء إلى السيارة، ويدوي صوت المحرك من جديد..

ترتفع الكاميرا عاليا لنرى السيارة بداخلها الشابين يعودان أدراجهما من حيث أتيا.. وتظل الكاميرا ثابتة فى وضع عين الطائر قليلا ولاشيء يحدث سوى ابتعاد السيارة، والمشاهد لايفهم سر ثبات المشهد ..

وفجأة تدور الكاميرا لتعود لداخل الكوخ بجنون لنجد مكان الجثة خاليا ؟!! وسط قرقعة الخشب تدور الكاميرا بحثا عن الجثة، فيقع نظرنا على ظل غاضب.. كيف عرفت أنه غاضب ؟ من شكل وقفة الرجل ووضع كتفيه والتماع البرق فى السماء وانفجار صوت الرعد، مع الموسيقى التى صدحت بصوت مخيف..

كان يمسح الدماء من على جبهته ويلف الكوفية مرة أخرى على رأسه، ثم يبدأ التحرك..

تدور الكاميرا ببطء لنرى معطف الرجل العجوز من الخلف وهو يسير على الطريق فى نفس الاتجاه الذى سارت فيه السيارة..

(مع تصاعد حدة الموسيقى المتزامن مع انخفاض صوتها) قبل أن تظلم الشاشة ويسود الصمت قليلا..

ثم تظهر ببطء صورة جريدة (مصحوبا بصوت حفيف ورق) مكتوب فيها:

- العثور على شابين بحوزتهما كمية من المخدر مقتولين داخل سيارتهما..

وتنزل الكاميرا لترينا صورة الشابين الميتين بشكل بشع، إذ أن الجثتين متجمدتين وهما يصرخان فى هلع وخوف رهيب.. وتعود صورة

الجريدة للخلف ببطء لتذوب، بينما يتكون مشهد آخر.. مشهد الشابين

الميتين داخل السيارة وهما يعودان أدراجهما..

تظهر لنا الكاميرا منظرا أماميا لزجاج السيارة الذي يبدو من خلفه الشابان حيث كان يقودها ذلك الذى أطلق الرصاص والذي بدت عليه أمارات الهدوء ويجلس بجانبه الشاب الاخر على عكسه تماما متوترا خائفا تبدوا عليه العصبية..
تبدأ الكاميرا في الدوران بحركة دائرية بطيئة حول السيارة حيث نري الآن الشابين من الزجاج الجانبي لكرسي قائد السيارة وزميله يتكلم بنبرة يتضح فيها الغضب:

- لماذا قتلته!

دخلت الكاميرا السيارة لنراهما من الخلف وقائدها يقول بصوت هادىء:

- لا تناقشنى.. أنا أعرف مافيه المصلحة!

تتأرجح الكاميرا بين وجهيهما، بينما يقول الأول وهو يضرب تابلوه

السيارة (يتزامن مع انفجار الرعد أيضا):

الأيمن وذلك المتوتر يقول في عصبية:

- لم نتفق على القتل..

- لضمان صمته.. الموتى لا يتكلمون.. عرفت أنه ثرثار، وبكلمة

واحدة منه تنتهى حياتنا فى السجن للأبد، وربما الإعدام.. موته

أفضل من موتنا!

تدور الكاميرا حول وجهه وهو يكمل ببرود:

- لا يجب أن نترك دليلا! لا يجب أن يكون خلفنا نقاط ضعف، وأنت قلتها لي بنفسك!

ساد الصمت إلا من صوت عجلات السيارة تنهب الأرض وتشق المياه على الأسفلت شقا، قبل أن يرتفع صوت حشرجة المحرك فجأة وتختل حركة السيارة..

(دقات الطبول تشبه دقات القلب الخائف) بينما تنحرف السيارة جانبا وتتوقف تماما وسط الظلام..

هبطت الكاميرا ببطء إلى أسفل السيارة لنرى شيئا غريبا.. وكأن المحرك تدمر أو محطم بشكل غريب، ثم نلحظ ظلا يقف فى الطريق..

تتحرك الكاميرا بالطريقة الثعبانية لنرى فى وسط الطريق فجأة ظلا يقف غير واضح المعالم..

ظل يرتدى عمامة!

نقترب لنرى العجوز، ويزين رأسه بعض الدماء بينما تطلقان عينيه الشرر من الغضب!

وفى السيارة كان الشابان على قدر كبير من التوتر..

- لا بد أنه المحرك، سأنزل لأتفقده..

ومد يده ليجذب الباب لكنه لم ينفتح! (صوت طبلة قوى)

- ماذا حدث؟

- الباب .. يبدو أنه عالق! حاول من عندك..

(صوت الرتاج ينفتح عدة مرات، بلا جدوى..)

نرى السيارة من الخارج تهتز تحت تأثير محاولاتهما الخرقاء، ثم نعود للداخل.. يلهثان من الخوف والبرد.. ثم يحاول الأول كسر الزجاج بمرفقه دون جدوى!

ومن أمامهما ظهر الرجل المقتول يسير ببطء نحوهما.. (صوت موسيقى صاخبة مخيفة مصحوب بصراخ متناغم مثل صراخ أغاني الأوبرا)،

فيسود الذهول، ثم ترتفع صرخات الشابين من فرط الخوف.. الأول يخرج مسدسه وعلى الفور يطلق النار عبر الزجاج الأمامي على القادم، لكنه لم يتأثر كثيرا.. كل رصاصة تنفجر فيه يتناثر منه بعض الدم ولاشيء آخر.. إلى أن وقف أمام السيارة ثم اخترقها كأنه شبح!

بلغ منهما الذعر مبلغا أسطوريا.. ظلا يصرخات ويحاولان الهرب، بينما وصل إليهما ومد يديه معا يخترق بها جسديهما ويمسك القلبين يعتصرهما..

يتشنجان من الألم..

يشهقان طلبا للهواء..

الموت..

(الضربات الموسيقية تتعالى)

ظلا يرتجفان ويرتجفان وعيناهما تدوران دوران الموت، ثم همدا تماما والواقف يذوب ليختفى، ثم تظلم الشاشة ببطء..

تضيء الشاشة فجأة بلون النهار والسماء الصافية، بينما تسير سيارة الشرطة فى الطريق الصحراوى.. فجأة تنتقل لداخل السيارة لنرى شرطيين يتحدثان:

- لا أفهم كيف تم قتلهما ولا السبب.. المخدرات كما هى فى حقيبة السيارة!
- ربما هو عمل انتقامى ولم يجدوا وقتا لشيء آخر!
- ربما..

تخرج الكاميرا لترى السيارة تقترب من الكوخ القديم، ثم يعبرانه سريعا دون الانتباه للجالس فى الداخل، والذى كان يبدو كجثة متحللة!

الكاميرا تقترب لتجد وجها ميتا متحللا منذ شهور!

ثم..

تقترب منه الكاميرا بسرعة لتخترق فمه فيسود الظلام..

وبعدها..

(النهاية)! مع موسيقى قوية!

* * * * *

فتحت عينى بعد هذه الغيبوبة الفكرية! ابتسمت وأنا أتخيل ماذا لو قدمت هذا الفيلم للجمهور! فى الحقيقة هذه الأفلام تستفزنى بشدة؛ لأنى لا أكاد أفهم منهم شيئا! رأيت عدة أفلام على اليوتيوب بهذه الطريقة، وأرى الناس يتصايحون من فرط الإعجاب بها، لكنى لا أفهم! ما الجيد فيها كى تكون محط إعجاب لهذه الدرجة؟

أنت تشاهد أحداثا عجيبة بلا أى تفسير من أى نوع تقريبا، ولكن الناس يروق لهم هذا الهراء على كل حال!

حسنا.. لربما لو رزقنى الله بالمال الكافى لأنتجت مثل هذا الهراء ولصرت ثريا مشهورا أعتمد على إنتاج الهراء!

أخذت أتمطى على المقعد وأنا أنظر حولى..

أنا.. بحاجة إلى..

قنبلة.. من الكرنك ! هذا اختراع مذهل، حيث يضع الأرز بلبن فى الفرن وعليه كنافة وبسبوسة وقطعة قشطة عملاقة وفواكه كثيرة وعصير مانجو وعصير فراولة ثقيلان جدا..

فى الحقيقة عندما آكل هذه القنبلة وأنام أحلم بكوابيس كثيرة تصلح لكتابة قصص الرعب.. فلأذهب إذن!

نهضت من على المقهى وأخذت أتمشى عبر شارع (بورسعيد) إلى ميدان السيدة زينب، ثم (تخريمة) صغيرة إلى الكرنك.. اشتريت أربع قنابل لى وللأسرة بالطبع، ثم عدت للمنزل ممنيا نفسى بسهرة لطيفة..

أنت تعلم تلك الأجواء الأسرية اللطيفة حين تتناولون قنبلة ثم تشاهدون فيلما أو تصابون بالإسهال جميعا فتتصارعون على باب الحمام!

نعم..

غالبا عندما تأكل هذه القنبلة فإنها تنفجر داخل بطنك!

أنهينا ما نأكله، ثم جاءت ابنتي الكبرى (سلمى) لتجلس جواري بعدما انعزلت قليلا أملا في البدء في رواية جديدة.. بضع لحظات من الصمت قبل أن تسألني في فضول محبب:

- بابا.. ماذا تفعل؟

قبلتها واحتضنتها، ثم قلت لها:

- أكتب قصة رعب يا حلوتي..

التصقت بي أكثر ثم قالت لي وعيناها تتسعان شغفا:

- احك لي واحدة..

تزامن طلبها مع دخول (نور) وزوجتي..

لحسن الحظ كان الوغد الصغير نائما، عموما إنها ليلة سوداء إذن ولن أستطيع كتابة حرف! إما أن أكون غليظ القلب (جلنفا) أو أتظاهر باللطف حتى أستطيع الانفراد بنفسي بأقل خسائر ممكنة!

أخذت نفسا عميقا وأغلقت الحاسوب ثم نظرت إليهم وقلت بألطف نبرة ممكنة:

- حسنا.. سأحكى لكم قصة مفزعة حقا، لكن عليكم أن تستمعوا فقط دون أسئلة.. اتفقنا؟

صرخت الفتيات فى حماس مهددين بإيقاظ مالك أن: اتفقنا..

أخذت نفسا عميقا و..

بدأت أحكى:

* * * * *

قِصَّةُ رُعْبٍ تُنَاْسِبُ (سَلْمَىْ) و(نُوْرٌ)

الساعة الواحدة ليلا..

الجو عاصف ويبدو ضبابيا بسبب العاصفة الترابية العنيفة..

الجو حار خانق..

والتراب يدخل مع الهواء ليسد مجرى التنفس..

وكان يحملها..

ثقيلة..

يستتر بالليل كى لايراه بها أحد..

يتلفت حوله فى توتر مع أن ذراعيه يئنان تحت ثقلها.. ومع ذلك كان يستحث الخطى..

كان يقول لنفسه أنه صار عجوزا على هذا الحمل وهذا المجهود لكن لا بأس.. الأمر يستحق!

فقط كان يكره الشعور دوما أنه خائف مذعور.. يخاف أن يراه أحد!

وكى تزداد الأمور سوءا بدأت الأمطار فى الهطول..

أمطار فى الصيف؟

هكذا بدأ قرع نعليه على برك المياه الوليدة يصدر ضوضاءا جديدة بعثت فى نفسه مزيدا من التوتر..

لكنه كان قد وصل إلى أعتاب منزله المتهالك..

دلف سريعا من بوابة العمارة، ثم أخذ يلهث للحظات..

كان ذراعاه يرتجفان تحت تأثير ثقلها..

فكر للحظات أن يتركها ليرتاح قليلا، لكن الجيران..

ربما نزل أحدهم الآن.. آخر ما يريده الآن أن يراه أحد..

لذلك بدأ يصعد الدرجات الخشبية القديمة بحذر.. ومع ذلك كانت السلالم الخشبية القديمة تئن تحت ثقله وثقلها..

وصل للطابق الثاني بالكاد- حيث يقطن- ، ومفاصله تئن ورئتاه تطلبان الهواء بجشع.. أخذ يلهث بعنف..

توقف للحظات وجسده كله يرتجف الآن، أما قلبه فيوشك على الانفجار بينما العرق ينهمر على عينيه مالحا يحرقها..

ياله من مجهود.. حملها إلى هنا ليس أمرا هينا أبدا!

أخذ نفسا عميقا، وطرق الباب بقدمه..

مرت ثوان قبل أن تفتح ابنته الكبرى الباب، كان منظرها مخيفا بقميص نومها الأبيض الهفهاف هذا مع خلفية من ضوء كئيب شاحب وشعرها المنسدل، فبدت وكأنها قادمة من فيلم رعب..

في العادة لا أحد يطرق بابهم لأنهم.. حسنا.. ليس هذا موضوعنا!

المهم: اتسعت عيناها لما رأت الفتاة أباها وأفسحت له المجال من لتوها للدخول..

دخل بخطى مرتجفة، وألقاها على أول مائدة قابلته دون اكتراث.. لا يهم أين يضعها المهم أن يسلم المهمة لغيره، ثم ألقى بنفسه على الأريكة يلتقط

أنفاسه بصوت عال حتى قبل أن يخلع سترته المبتلة بالمطر والعرق..

رغم كل شيء هو سعيد بالتخلص من الثقل..

كانت ابنته الصغرى واقفة على باب حجرتها ترمق ما يحدث غير مصدقة، بينما كانت الأم عملية جدا..

دخلت المطبخ عاقدة حاجبيها فى صمت، وانتقت أكبر سكين حامية..

وبحزم عادت..

وقفت تتأملها للحظات، ثم رفعت السكين ببطء فى الهواء وعيناها مثبتتان عليها..

وضعت الفتاة الصغرى يدها على فمها تكتم صرخة، بينما دلفت الكبرى لحجرتها..

لم تعد إحداهما تتحمل المنظر، لكنه إصرار الأب..

فجأة هوت الأم بكل قوة عليها وتناثر اللون الأحمر حولها فى كل مكان من فرط قوة الضربة وعرض السكين..

(الحمد لله.. البطيخة حمراء.. ألم أقل لك لا تدع أحدا يراك وستكون البطيخة عسلا؟)

ابتسم فى قرارة نفسه.. واسترخى أكثر وهو يتأمل زوجته الحنون وهى تقطع البطيخة.. بالسكين!

تمت

* * * * *

أنهيت حكايتى وسط الضحكات الطفولية المتفاجئة، ثم نهضت الفتيات لتفعل شيئا بينما جلست مع زوجتى نتسامر.. بمعنى أدق هى تتكلم وأسمعها أنا!

أنت تعلم النساء حين يتكلمن.. هل قرأت كتاب (الرجال من المريخ والنساء من الزهرة)؟ إن قرأته فـ.. نوعا ما ستدرك أن يجب أن تصمت فى حضرة النساء حين يتكلمن!

أخذت أنظر لزوجتى وهى تتحدث باهتمام، وبرمجت رأسى على الإيماء موافقا ولسانى على:

(هممممممممممم) – (آه) – (صحيح) – (بالطبع أنت لم تفعلى شيئا خطأ على الإطلاق) – (أنا أرى أنك على صواب)..وشردت قليلا فى هذا الكتاب..

على الرغم من أن هذا الكتاب الرائع لم يتواجد فى دائرة اهتمامى مسبقا، فقط نبهنى إليه صديقى زكريا.. وقتها اقتنيته وقرأته، أو للأدق التهمته التهاما.. كتاب متميز يستحق القراءة عدة مرات بالتأكيد..

الكاتب هو العالم النفسى العبقرى (جون جراى)، وفى كتابه هذا يتناول العلاقة بين الرجل والمرأة بشكل فى غاية الإثارة.. وبالفعل بعد قراءة الكتاب تكتشف أنك لا تفهم شيئا تقريبا عن الطرف الآخر.. لا يتناول علاقات المتزوجين وحسب، بل يتحدث عن علاقة الرجال عموما، بالنساء عموما، وذلك فى إطار خيالى شبه فكاهى، لا يكاد يسبب الإملال قط..

أنا شخصيا استفدت كثيرا من هذا الكتاب فى التعامل مع الكثير من الجنس اللطيف.. اللطيف جدا.. وخاصة ألطف اللطيفات على الإطلاق: زوجتى العزيزة!

الكاتب يتخيل أن الرجال من كوكب المريخ أصلا، و النساء من كوكب الزهرة أصلا، وتقابلا على كوكب الأرض بدافع الحب والشغف.. ومع الوقت نسى كل منهما أصل الآخر، وأنه كائن مختلف عنه.. وبدأ يطالب الجنس الآخر بالتعامل وفق معاييره الخاصة، ومن هنا نشأت المشاكل.. أن كليهما نسى أنهما بالأصل مختلفان، وأنهما يفترض بهما الاختلاف كى يكملا بعضهما..

ويستعرض الكثير من المواقف اليومية التى نسىء فهمها.. مثلا الرجل عند تعامله مع الضغوط والمشاكل ينسحب ويصبح صموتا ويفكر فى حل مشاكله.. وهو الذى تفسره المرأة بعدم الحب، لأن طريقتها فى حل المشاكل هى الحوار والتحدث والكلام عن المشكلات وحول المشكلات إلى أن ترتاح منها.. وهو ما لا يطيقه الرجل.. فهذه نقطة خلاف.. وأنا الآن أؤدى هذا الدور بنجاح.. زوجتى تنتقل من الحديث عن مشاكل السيارة للحديث عن طنط رابحة الجميلة إلى الخضار الغالى مرورا بـ(بوشكاش) الذى يمسح السلالم والذى رأته يسير مع زوجته منهية بالدعاء على أم أحمد النصابة التى غشتها فى وزن الباذنجان!

نقطة أخرى: أن الرجل يغضب عندما تقدم المرأة نصيحة دون أن يطلبها.. يفسرها بأنها علامة ضعف، وأنها تقول له أنه لا يمكن الاعتماد

عليه.. بينما هى تقدم له الحب والدعم بالنصيحة غير المطلوبة فى وقتها.. ولكنه يقدر النصيحة عندما يطلبها.. فيجب على المرأة ألا تقدم النصيحة دون طلب..

وهو ما تفعله زوجتى بنجاح تام (أعرف أنى أكذب ولكن.. أنت تعرف أنها ستقرأ هذا الكلام!)، تجدنى أساعدها فى المطبخ فتدخل وتعطينى الأوامر لطبخ الدجاجة أو غسل الـ.. احم.. المواعين!

نعم.. لماذا تضحك؟ أنا أغسل المواعين.. أنا أحب المطبخ وأغسل المواعين وهذا لايعيب فى شىء.. اضحك ساخرا أو اشمئز فهذا شأنك.. ولكنى سأظل أغسل المواعين!

ما علينا..

زوجتى تستمر بالثرثرة وأنا أتذكر نقطة أخرى:

إن المرأة عندما تتحدث عن مشاكلها لا تحب أن يقاطعها أحد، بينما الرجل يرتدى قبعة الخبير ويظل يطرح عليها حلولا، بينما هى لاتريد منه سوى الاستماع والتعاطف فقط!

هناك تدريب لطيف للرجل على الصمت والاستماع هو أن يعض لسانه عند الاستماع للمرأة!

والله هذه نصيحة حقيقية..

عض لسانك واخرس أمام أى امرأة.. ستجد أنها تعشقك على الفور..

على أن أكثر ما جذب انتباهى هو تشبيه الكاتب للرجل بأنه يرتبط بالزوجة برباط مطاطى (أستك).. عندما يبتعد الرجل عن المرأة يتمدد الرباط المطاطى بقوة حتى يصل لمنتهاه، فيعود بقوة لامرأته.. ولكن لو طاردته المرأة فلن يتمدد الرباط وسيظل مرتخيا.. وهو دليل على أن الرجل يحب الاحتفاظ بحريته من حين لآخر، مما يعود بالفائدة على المرأة لاحقا..

أما المرأة فمشاعرها أشبه بالموجة.. ترتفع لأقصى ارتفاع، ثم تهبط لأقصى عمق.. وما على الرجل أن يفعله أن يساعدها لبلوغ العمق بسرعة عبر الاستماع إليها.. كثيرا..ومن ثم العودة للسطح من جديد، فتعود مشرقة وجميلة كما يتمناها..

أفيق من شرودى على تثاؤب زوجتى التى تنهى كلامها بعدما فرغت منى أخيرا، ثم تقرر أن تنزل لتسهر مع بقية النسوة فى المنزل بالأسفل لأنى ممل!

رائع.. بل مرحى مرحى..

إذن.. أين الحاسوب الأحمق عندما تحتاج إليه؟ سأبدأ بروايتى أخيرا..

ستكون رواية رائعة فظيعة تغير تاريخ الأدب العربى للأبد..

نزلت زوجتى..

الأطفال نائمون..

ساد الصمت..

كوب القهوة..

الفكرة طازجة حاضرة فى رأسى بقوة وأعلم أنى قادر على الكتابة.. منذ فترة وأنا منبهر تماما بهذه الشخصية، إذ أن الحقائق أحيانا تصير أقوى من الخيال.. لا يمكن أن يتخيل أحد قصة حياة هذا الرجل، حيث يمتزج الرعب بالاشمئزاز بالقسوة بالخوف بـ.. اختصارا، لقد وقعت على كنز حقيقى ويجب أن أستغله!

أنت لا تفهم عم أتحدث.. أعذرنى لأن الحماس بلغ منى مبلغا..

العالمية قادمة..

هيا بنا:

* * * * *

خَطَأٌ بَسِيْطٌ لِلْغَايَةِ!

لماذا يحرمون القتل ؟
لماذا يجرمون القتل ؟

* * * * *

فتحت عينى ببطء وألم محدقا فى الظلام من حولى وكل عظمة تئن فى جسدى.. كل عضلة تصرخ من فرط الألم.. جسدى يعلن احتجاجه على ما قد حدث للتو!

فليحتج جسدى كما يشاء.. بعد قليل سيصمت ويتأقلم على الوضع!

أنا مجنون..

أعرف هذا جيدا..

وهذه مزية من لا يمتلك شيئا فى حياته..

التجربة العشوائية الرائعة التى قد تعود منها حيا وقد لا تعود!
سمعت ضجيجا من مسجل صوت ذى بكرات كبيرة بجوارى، فمددت يدى المرتجفة لأغلقه ناظرا للبكرة نظرة خاوية.. لقد أوشكت على الانتهاء!
نهضت بصعوبة وبتثاقل من مجلسى باحثا بعينى عن مرآة قريبة أو عن دورة المياه.. الدنيا تدور بى والاحتجاجات الصامتة فى جسدى تعلو حدتها لكنى أتجاهلها وأحاول السير..

جسدى مازال يقاوم..

الصداع العنيف يكتنف رأسى ويصيبنى بالدوار والرغبة فى القىء، لكنى أتحامل على نفسى.. يجب أن أرى جسدى سريعا.. يجب أن أطمئن!

يجب ان اقف تحت الماء البارد..

لكنى مع ذلك أحترق شوقا لسماع التسجيل..

أعود بخطى واهنة لأضغط بأصابع لا تكاد تعرف هدفها زر الاستماع وأعلى الصوت بينما اتجه للحمام القريب..

* * * * *

"سأبدأ الآن التجربة.. سأستحضر روح (رامى) صديقى الذى انتحر منذ عدة أيام لأفهم سبب انتحاره!"

ساد الصمت قليلا مع صوت ترانيم غامضة وأصوات لا يمكن فهمها ونبرات عجيبة.. ثم نداء متكرر:

- رامى.. استجب!

رامى.. أقبل!

رامى.. تعال!

ثم..

فى البداية يأتى الصوت متحشرجا مزمجرا بلا معنى.. كأنه شخص يتنحنح فحسب ثم يسود صمت بسيط يقطعه صوت هادىء يقول:

- رامى.. هل أنت موجود ؟

بضع ثوان ثم يأتى الصوت المتحشرج مجيبا أن نعم!

الصوت الهادىء يسأل:

- من فضلك احك لى باختصار ما حدث!

يستمر الصمت إلا من أنفاس ثقيلة مضطربة.. ثم يحاول الصوت المتحشرج الكلام بصعوبة ويقول:

- بعد كل هذه الفترة أنا.. أشعر بالارتباك قليلا! هل.. أتريد أن تعرف كل شىء من البداية ؟

- نعم ..

مرة أخرى يسود الصمت قبل أن يقول:

- حسنا .. لقد انتظرت فترة طويلة بالفعل قبل أن..

أنا مشوش جدا ..

إنه أمر غريب .. لكن ..

ربما بدا الأمر منذ إصابتى فى رأسى أو ..

صمت برهة، ثم يستطرد بطريقة أكثر وضوحا :

- أعتقد أن الأمر بدأ عندما عاد ابن عمى من الحرب .. كان ساديا متوحشا ولكنه كان شخصية جذابة آسرة لا تتوانى عن فعل أى شىء.. أذكر أننا جلسنا سويا ذات مساء تحت شجرة فى فناء منزلنا كى يتباهى أمامى بعدة صور له ولأصدقائه يتناوبون على اغتصاب امرأة! ثم أرانى صورة له وحده يرفع رأس نفس

المرأة مقطوعا، وفى يده الأخرى سكينا يقطر دما! كان يبدو عليه الاستمتاع!

الصوت الهادىء يقول وقد توترت نبراته :

- ما هذا الذى تقوله؟ من أنت؟ أنت لست...

قاطعه الصوت المتحشرج:

- أنت استدعيتنى وانا سأكمل.. لن أذهب حتى أنتهى! أنما أعلم ما تفكر فيه لذلك اصمت ولا تقاوم..

الصوت الهادىء (المتوتر) بنبرة مفزوعة:

- هل أنت رامى؟

يكمل الصوت بنبرة واثقة متجاهلا سؤاله:

- يوم أن رأيت هذه الصور لم أنم ..

يالها من قوة..

ياله من وحش..

لا بد انه لايخاف شيئا قط..

لا بد أنه استمتع بتعذيب تلك المرأة وقطع رأسها..

لا بد أنه تحالف مع الشيطان نفسه ليصل لهذه المرحلة!

هل الشيطان بهذه القوة حقا؟ ولو كان بهذه القوة فكيف أصل إليه؟ كيف ؟

لم أهدأ حتى بحثت فى اليوم التالى فى مكتبة المدرسة عن الشيطان بحثا مضنيا مكثفا استغرق منى اليوم بطوله.. كان أصدقائى ومعلمينى متعجبين بشدة، فمنذ متى وأنا أقبع فى المكتبة؟

قرأت عنه كل شيء ممكن.. كل حرف فى كل كتاب سماوى.. كل حرف خطته عنه يد بشرية..

وفتننى بشدة..

القوة المفزعة التى ملأت نفسه حتى يواجه بها الرب!

هو القوى الذى يتقبلنى بأخطائى..

بكل شرورى وذنوبى وآثامى..

هو الذى يثيبنى على أخطائى ويحبنى من أجلها.. لماذا إذن أعبد الله؟

ومن هنا بدأت أهرب من المدرسة.. المدرسة عرفتنى من هو حقا لكنها لن توصلنى له..

بل ويجب أن أهرب من البيت أيضا.. أبى كان قاسيا لا يمل من ضربى أبدا كلما كان متضايقا؛ لذلك هربت لأقرب مكان خال لأبيت فيه وحدى؛ وهناك أنادى وأستجدى إلهى الجديد..

ذهبت إلى المقابر!

الصوت الهادىء يقاطعه فجأة ويصرخ بانفعال:

- رباه.. رباه.. أنت لست رامى.. عد فورا.. ارجع من حيث أتيت.. أعوذ بالله من ال..

يقاطعه الصوت المتحشرج بصرامة:

- اخرس .. لن أدعك تتحدث مرة أخرى حتى أنهى ما جئت من أجله.. لا تعتقد أن ترهاتك هذه ستعيدنى.. أنا لن أذهب وأنت لن تتحدث! لا تقاوم ودعنى أكمل.. لا تقاوم!

اسمع..

لقد قضيت فى المقابر وحدى أياما طويلة، وكنت أستيقظ طوال الليل أناجى الشيطان.. أدعوه أن يأتى..

أن يسبغ على القوة..

أن أكون أنا الوحش الى يخافه الآخرون..

وهو لم يبخل على..

سرعان ما تجلى على بنفسه.. ظهر لى بشكل جميل رائع مبهر، وكنت سعيدا كما لم أكن سعيدا من قبل! فمن رأى إلهه يكلمه بنفسه؟ بل من أسعد منى حظا الآن؟

كان يكلمنى وجها لوجه..

بنفسه وقوته وسطوته وجبروته.. وأخبرنى انه معى وأن لن يمسنى أحد بسوء، وأنى يجب ان أفعل ما أريده مهما كان وأتقرب له كل يوم!

وفى المقابل سأكون له! سيكون ملكى للأبد، وسيكون ربى للأبد! هكذا قال لى وهكذا قررت أن أكون!

امتلأت ثقة.. وبدأت أنفذ ما أوصانى به كاملا!

هكذا ترانى أرتدى الأسود وأقتحم منزل تلك المرأة العجوز التى لابد أنها تمتلك المال الوفير وربما بعض الخمر أيضا.. امرأة طاعنة فى السن قبيحة الوجه والجسد، تعيش وحدها.. بهدوء دلفت للمنزل وبحث فى حجرة نومها بينما كانت هى تشاهد التلفاز فى الخارج حين وجدتها تصرخ فجأة متساءلة عمن فى الحجرة الداخلية!

ستفضحنى تلك البلهاء..

خرجت مسرعا شاهرا سكينى نحوها وهى جالسة على مقعدها الوثير..

من فرط المفاجأة لم تجد وقتا حتى للاندهاش! رفعت سكينى وأولجته كله فى بطنها!

نظرت لعينيها الذاهلتين ودماؤها الدافئة تنساب على يدى..

سمعت صوتها تتأوه..

الصوت أطربنى وأثار حماستى..

ضربات قلبى تتعالى بإثارة بالغة..

أخرجت سكينى من بطنها مبهورا بقوتى ثم أولجته مرة أخرى أسفل صدرها..

أصغى لتأوهاتها وأنفاسها المتألمة بشغف وأحدق فى عينيها مباشرة.. أين روحك يا امرأة؟

أشعر بقلبها ينبض فوق يدى مباشرة.. بلا حاجز بيننا!

سحبت سكينى ثم أولجته مرة ثالثة.. كم هو ممتع هذا الشعور.. أن تضع سكينا حادا فى أحشاء طرية، ودفء الدماء على يديك.. رائع!

ومرة رابعة..

وخامسة..

شعور مذهل بالقوة يجتاحنى..

كررت الطعن فى أماكن لا تسبب الموت حتى مللت..

يجب أن أكون أقوى من ابن عمى..

أنا الوحش الذى يخافه الناس ..

أنا مصدر الرعب والموت ..

وما لبثت أن وضعت كفى على فمها قبل أن تموت وأرجعت رأسها للخلف وذبحتها..

ببطء..

ياللنشوة المضاعفة! لذة لاتدانيها لذة أن تسلب حياة أحدهم بيدك!

سرعان ما رفعت يدى برأس العجوز مثل ابن عمى تماما وكأنى أواجه الكاميرا، لكن للأسف ليت هنا كاميرا ولا يوجد من يصورنى!

وبينما أنا منتشٍ بانتصارى ظهر مولاى أمامى مشيرا إلى جثة العجوز مقطوعة الرأس آمرا إياى أن أقضى وطرى فيها!

لم أكن متحمسا لكنى فعلتها..

هو يأمر فقط وأنا أنفذ..

هو الذى وهبنى القوة..

فعلتها..

ثم جمعت المال وخرجت من منزلها لأستمتع بالليل المظلم والهواء البارد..

اشتريت سلاحا ناريا وخمرا وعدت للمقبرة أتجرع الخمر وأشكر الشيطان تحت ضوء القمر..

فجأة جاء الصوت الصارخ:

- أنت لست رامى.. اذهب بالله عليك!

يكمل الصوت المتحشرج بلا اهتمام وكأنه لم يسمع:

- القادم كان أجمل.. كنت أختار المنازل عشوائيا وأدخل لأبحث عن الضحايا.. وحين أجد ضحيتى أطلق رصاصة واحدة نحو الرأس.. رصاصة واحدة فقط تنهى حياة الضحية! ثم أستمتع برؤيتها تتخبط على الأرض فى دمها.. تتلوى وتتشنج قبل أن تهمد تماما وتموت..

ثم أقوم بجمع ما أريده من المنزل وأذهب.. ربما أتناول عشائى أيضا لو وجدت ما يستحق أن يؤكل!

ذات مرة دخلت منزلا فيه شابتين.. أطلقت النار على الأولى والتى سقطت فورا، بينما اختبأت منى الثانية فى مكان ما..

لا بأس.. رعبها منى سيجعلها تتصرف تصرفات خرقاء..

أنا الوحش وانا أدرك تماما ما أفعله!

ظللت أدندن لحبيبى الشيطان وأبحث عن المال.. تناولت شيئا من الطعام حين لمحتها من النافذة تجرى فى الشارع صارخة..

الغبية ستكشفنى! مثلها مثل العجوز القبيحة!

هكذا انطلقت وراءها، لكنى لم أجدها.. بحثت عنها يمينا ويسارا وفى كل مكان لكنى لم أجدها!

اختفت تماما!

صرخت من الغضب وعدت لمنزل الضحية كى أجمع ما اغتنمته لأجد الغبية قد عادت للمنزل..

مرحى.. الشيطان معى يسندنى ويريحنى.. أرسل ضحيته لى لأكون خادمه وأهديها له!

رصاصة واحدة بين ضلوعها جعلت ليلتى سعيدة.. واحتفالى بانتصارى عليها تم بأن اغتصبت جثتها ثم رحلت فى هدوء..

وتكررت زياراتى الليلية للضحايا مرات ومرات..

كل يوم زيارة..

كل يوم قتلى..

كل يوم موتى..

كل يوم أصلى لشيطانى الجميل..

كل يوم أنا وحش والجميع يهابنى..

قتلت كثيرا..

لكن دائما ظلت طريقتى المفضلة هى (رصاصة فى الرأس)..

الحياة تبدو أجمل، وكل شىءرائع..

ولكن..

لم يدم الأمر نتيجة غبائى.. أنا الذى لم أنتبه.. أنا السبب!

كنت أسير يوما ما فى الشارع، كنت عائدا من عند أختى وزوجها.. زيارة سريعة لهما، فرغم كل شىء أنا أمتلك قلبا وأحب أختى!

وقتها رأيت امرأتين تنظران لى بذهول ورعب.. وبعدها صرختا واشارتا نحوى!

أدركت فورا ان هناك شىء ما خطأ فانطلقت أحاول الهرب لكنهم أحاطوا بى..

الناس فى الشارع أحاطوا بى..

كيف عرفونى؟

عرفونى لأنى غبى، وأكثر مايضايق ربى الغباء لذلك كان عقابى أن تركنى مؤقتا!

الفتاة التى اغتصبت زميلتها لم تكن ماتت، إنما تظاهرت بالموت فقط ثم وصفتنى لاحقا للشرطة.. تزامن وصفها لى مع وصف طفل صغير رآنى أخرج من منزل الفتاتين..

سرعان ما أغرقت صورى كل مكان ولم يكن من الصعب اصطيادى مع هيئتى السوداء وشكلى المميز..

ضربونى.. أهانونى فى الشارع.. قبضوا على ثم وضعونى فى السجن..

وحدى..

بكيت وطلبت السماح فقبلنى فورا.. هو عائلتى وحبيبى وسيدى.. وهناك

تكررت زيارات سيدى لى ووعدنى أن لن يمسنى أحد بسوء قط..

وقد كان..

حتى أن محاكمتى بدأت بعد أربع سنين كاملة من اقتناصى، وكنت أظهر رافعا يدى بالنجمة الخماسية علامة الشيطان مبتسما.. أشتم القاضى والمحلفين وأصفهم بأنهم مجرد جرذان حقيرة وديدان لا نفع لها وكلهم يصيبونى بالتقزز والاشمئزاز ومع ذلك لايبدون أى رد فعل!

وعده يتحقق!

خائفون منى.. وهذا يرضينى ويمتعنى بشدة!

وكما وعدنى سيدى لم يتم الحكم على قط، على الرغم من أنى قتلت مايربو على ثلاثين ضحية!

كنت أنا المتسلل الليلى الذى أثار الرعب والفزع ليال طويلة..

ولمزيد من السخرية تهافتت على عروض الزواج من الفتيات..

وتزوجت مرتين!

وكما وعدنى سيدى مت على فراشى..

لم يعدمونى قط..

وكما وعدنى..

عدت الآن للحياة من جديد..

الصوت الآخر ينادى بضعف:

- أرجوك ارحل.. أنا لم أقصد استدعاءك أنت.. أنا استدعيت (رامى) صديقى الذى مات منذ..

قاطعه الصوت المتحشرج بسخرية واثقة وبصوت واضح النبرات:

- أرحل؟ لا يا صديقى.. أنت الذى سترحل! لقد صار هذا الجسد جسدى للأبد.. أنت استدعيت الشخص الصحيح.. أنا..

(صوت صرخات تغيب وتبتعد يتلوها صمت تام ثم تأوهات !)

* * * * *

مددت يدى أغلق التسجيل وأنا أشعر بالرضا التام.. لقد عدت للحياة من جديد فى هذا الجسد..

أنا..

(راميريز)!

عدت للحياة من جديد!

* * * * *

أنهيت روايتى القصيرة جدا متثائبا بقوة، ونظرت لساعتى.. أربع ساعات مرت!

كيف! أين طار هذا الوقت؟!

هذه قصة مستوحاة من حياة السفاح الأمريكى الشهير جدا (راميريز).. كنت أظن أنها تصلح لكى تكون رواية ولكن انتهت بسرعة.. ربما لو امتلكت البال الرائق لحولتها لاحقا، لكن أين ذهب كل هذا الوقت؟!

لم أشعر بالوقت!

أمر غريب حقا.. والأسوأ أنى عندما نظرت لعداد الكلمات وجدت كارثة! هذه الرواية.. لا ليست رواية، هذه القصة القصيرة مكونة من أربعة آلاف كلمة فحسب.. اقل بقليل كى أكون أمينا مع نفسى!

اللعنة..

اللعنة مرة أخرى..

هل فقدت مهارتى أم ماذا.. هذه القصة تحديدا فيها شىء كبير من الواقعية، وأنا أحببتها جدا.. لكن يظل أمامى ثلاثون ألف كلمة على الأقل حتى تكون رواية!

الإحباط يتناولنى، بينما أشعر بالنعاس يكتنفنى تماما، فقررت إغلاق الحاسوب ومتابعة (الفيس بوك) قليلا قبل النوم..

مع المتابعة وجدت دعوة من الكاتب الكبير (إسلام عبد الله) للقاء فى وسط البلد.. العابث بنفسه!

هو صاحب عدد من الروائع مثل الشماس والعابث وجهينة ورحلة ملعونة وغيرها.. ربما سمعت جملته الشهيرة (توقع ألا تتوقع) يوما، وهى التى لم أفهم معناها حتى الآن !

وعدد كبير من الكتاب سيكونون هناك.. مرحى.. هذا خبر جميل أنعشنى بعدما كنت أشعر بالضيق بسبب القصص القصيرة التى ما أنفك أكتبها.. غدا سيكون يوما جميلا..

* * * * *

استيقظت وذهبت لعملى، ثم ذهبت للقاء الأخوة الكتاب.. كان لقاءا قديما ونواة لإنشاء الرابطة المعروفة.. هنا يجب أن أقول أن الجلسة كانت مثمرة للغاية، خاصة مع كل هذا الحوواشى الذى تناولناه! نعم، فالجلوس الجميل مع الرفاق الرائعون لا يكتمل إلا بطعام شهى.. حوواشى بالجبن وبالسجق وسادة! ثم ليترات من المياه الغازية، قبل أن نثرثر جميعا تحت تأثير اللحم العجيب ونضحك.. نبدو مثل (المينيون) لو تعرفهم.. نقول أى كلام ثم نضحك! تأثير يشبه تأثير الحشيش إلى حد كبير..

النقاش يحتدم بين (أحمد تاج) و(د.محمود صلاح) ، فأسألهما عم يتحدثان بالضبط، فينظران لى بلا أى تعبير قبل أن ننفجر فى الضحك جميعا بلا سبب! نضحك.. من الواضح أنهما لا يعرفان عم يتحدثان!

الليلة رائعة منعشة، ولابد من إعادة شحن للعقل.. ولا بد أن أعود منتعشا من هذه السهرة.. مقابلة هؤلاء الأشخاص تبعث بـ.. هل تعرف تأثير انتعاش النعناع فى الفم؟ مثله ولكن فى الروح..

انتهت السهرة بالنسبة لى فى الحادية عشر عندما رن الهاتف برقم زوجتى المصون.. إذن فلأحاسب وأمضى من هنا وبيتى قريب على كل حال.. عدت سريعا كما لك أن تتوقع لأجد الجميع يغطون فى النوم إلا زوجتى التى انتظرت قدومى.. يجب أن أعطى تقريرا سريعا قبل النوم عن أهم الأحداث وماتحدثنا فيه، وما أكلناه و.. كل شىء!

والصباح رباح..

* * * * *

استيقظت فى الرابعة فجرا.. لم استطع النوم، فقررت أن أفتح سجل الرسائل لأرى ما إذا كانت إحداها تستحق التسجيل أو النشر.. ربما تحمل إحداها فكرة أو شيئا جديدا، لكن.. لاشىء!

هنا قررت أن أكتب بلا تفكير..

نعم! كل العباقرة يفعلون ذلك، وأنا بالقطع عبقرى بلا لا يدع مجالا للشك! وفى الحقيقة لايهم رأى زوجتى أو أى شخص فى هذا الموضوع.. أنا أرانى عبقريا، إذن أنا عبقرى! وهذا شأنى وحدى!

فلنر ماذا سيحدث..

* * * * *

بَيْتٌ مَسْكُوْنٌ

أخذت ألهث بشدة وأنا أراقب الحائط من أمامى حيث يتلوى ذلك الظل المخيف ويرفع رأسه عاليا ويضحك بصوت مسموع!

وسط الظلال أخذت أبحث عن أى مخرج..

باب..

شباك..

أى شيء..

قلبى يدق بعنف، وشفتاى ترتجفان بما أحفظه من آيات ولكن كلامى يخرج غير ذى معنى..

أين الباب؟

لقد كان هنا منذ لحظات.. الآن جدار حجرى؟

تركت الظل ورائى وأخذت أتحسس على الحائط.. الباب كان هنا، فجأة تحول لجدار حجرى؟

وفجأة اهتز الجدار بطرقات من الجانب الآخر!

انتفضت ورجعت خطوة للخلف..

ثم..

طرقات من تحت قدمى تهز خشب الكوخ.. أرى الألواح فى الأرضية تهتز من شدة الطرقات..

ثم..

دوت صرخة عالية..

صرخة نسائية، وكأنها امرأة تتمزق..

صرخة مزقت طبلة أذنى..

وضعت يدى على أذنى لأحميهما حين شعرت بهذا السائل يسيل على يدى.. ما الذى..؟

رفعت عينيى لأرى الدماء تسيل من فوق رأسى على يدى.. من السقف ذاته تسيل.. دماء؟

شقوق فى السقف تتجمع منها الدماء لتسيل فوق رأسى.. لحظات وبدأ السقف ذاته ينحنى ويتقوس للأسفل!

اتسعت عيناى ذعرا وأحسست بعجزى عن التنفس..

السقف يهبط نحوى..

أنا خائف.. سيسحقنى وأنا فى الركن بلاحول ولاقوة!

ثم يرتفع!

دوت ضحكة خافتة وتوقف انهمار الدماء.. أخذت أتلفت بعينى فى كل مكان وأنا أرتجف بحثا عن أى فتحة أخرج بها من هذا البيت الملعون، لكن لمحت حركة سريعة جوارى.. وجهت نظرى تجاه الحركة فإذا بالصورة التى على الجدار لتلك المرأة تحدق نحوى مباشرة!

وتضحك!

ما أن نظرت نحوها حتى أصبح الضحك بصوت مسموع أكثر..

وورائى ظهر ذلك الكلب ذو العينين الناريتين وهو يزوم..
من أين جاء؟
ثم..
طرقات عنيفة تهز الكوخ الضئيل بينما يتراقص الظل أمامى ويشير للسقف فيهبط..

صوت خرير مياه..

أو خرير الدماء لست أدرى!
صرخت صرخة طويلة مفاجئة وأنا أضع يدى على أذنى وأغمض عينيى بقوة.. ماهذا الكابوس! ثم صمت كل شئ..

شعرت بالدوار يكتنفنى..
بالفعل رأسى يدور فى عنف، ورغما عنى لعنت حماقتى وأنا أتذكر كيف بدأت تلك الأحداث..

* * * * *

كنت عائدا مع أصدقائى إلى قريتى بعد ليلة حافلة.. المشكلة أن هؤلاء بيوتهم فى أول القرية، بينما بيتى أنا فى آخرها.. وفى كثير من الأحيان يرفض السائقون أن يكملوا الطريق للنهاية، وهذا ما حدث تلك الليلة!
كان الجو باردا على غير العادة والليل قد بسط سطوته بالكامل منذ ساعات..

الجو باردا حقا.. أخذت أتصفح الأخبار فى يدى قبل أن أفاجأ بالسائق يلف قبل الوصول لنهاية الطريق.. أصدقائى كانوا قد نزلوا كما عرفت، ولم

يكن بصحبتي غير واحد لا أعرفه! صحت به أنا ومن معي أن هذا لن يكون، ولسوف يوصلنا للمحطة الأخيرة وكل هذا الكلام ولكن..

بعد مشادات كثيرة، رفض إكمال الطريق رفضا قاطعا.. وكنا اثنين فقط في مواجهته هو ومن يساعده في قطع التذاكر.. وعلى مايبدو هما ليس في وعيهما تماما ولن نستطيع إجبارهما على إكمال الطريق..

قضي الأمر!

توكلنا على الله وأخذنا ندعو عليهم وعلى سيارتهم ونزلنا..

المشكلة أننا سنعبر على الكوخ مضطرين..

وفي هذا الوقت بالذات!

أي كوخ؟

الكوخ الذي تسكنه الشياطين!

كوخ قديم قذر مبني على حافة الترعة، وجواره شجرة عجوز تتدلى أغصانها في المياه..

كوخ صغير جدا.. مخيف جدا.. لا يعرف أحد عنه شيئا تقريبا..

مشينا على الطرف البعيد من الكوخ.. بدأنا نسارع خطواتنا لا شعوريا لاجتياز الكوخ بسرعة..

لفت نظري وأنا أقترب كلب أسود ضخم لا يتحرك من أمام الكوخ..
جالس على قائمتيه الخلفيتين فقط وينظر أمامه دون أدنى حركة حتى كأنه

تمثال.. وكنت بدأت أعتقد – مع اقترابنا منه – أنه تمثال بالفعل، لو لم يلتفت إلينا فجأة ونرى عينيه الحمراوين المضيئتين..

لم تكن الرؤية واضحة تماما، بسبب الضباب والظلام إلا أن السلويت المميز له بدا واضحا كأوضح ما يكون..

فى هذه اللحظة كنا قبل الكوخ مباشرة، فما كان أمامنا إلا الجرى هربا من هذا الشيطان المتجسد، حين سمعت الصرخة..

صرخة مع طرقة ضخمة، مع ضحكة شريرة.. كل ذلك دفعة واحدة فى ثانية واحدة لمرة واحدة!

توقفت لأرى ما هناك، بينما أسلم رفيقى المجهول ساقيه للريح.. وهو تصرف حكيم فى هذه المواقف!

رأيت الكوخ مضيئا ولا كلب هناك..

قلت لنفسى بحماقة متناهية وغباء مطلق:

- ربمايحتاج أحد لمساعدة.. ربما لو ألقيت نظرة واحدة داخل الكوخ من بعيد.. نظرة فقط لأطمئن أنه لا أحد يحتاج مساعدة ثم أهرب..

أعترف أن فضولى، ربما أكثر من اللازم.. لا أحد بكامل قواه العقلية يفعل هذه الأفاعيل! لا أحد على الإطلاق! أذكر جيدا حكاية الأخين الذين اختفيا من هنا منذ فترة قريبة بلا أثر! أخ وأخت حطما قلب والديهما وقلوب القرية كلها!

ولكن..

على كل حال اقتربت بخطى مرتجفة من النافذة..

لم أستطع رؤية أى شيء، فعلى الرغم من الضوء الساطع القادم من داخل الكوخ إلا أن النوافذ عليها ستائر ثقيلة..

سمعت صوت صرير باب خفيف.. نظرت جوارى: كان الباب مفتوحا فتحة صغيرة..

بخطى مرتجفة توجهت نحوه ودفعته بيدى قليلا لألقى نظرة أكثر وضوحا لما فى الداخل.. مددت رأسى لألقى هذه النظرة الخاطفة..

بدا الكوخ مسالما بريئا لا مشكلة فيه على الإطلاق، أو هذا ما يحاول إظهاره لى.. وبالطبع وقعت فى الفخ كالساذج..

أنا بالفعل ساذج!

تشجعت قليلا ومددت قدمى لأدلف للمكان.. لا يبدو أن هناك خطب ما،

ففكرت فى العودة من حيث أتيت حين لفت نظرى ما على الحائط..

لوحات غريبة تزين الجدران تحوي كائنات أغرب..

وجوه غريبة منفرة ذات ألوان باهتة عجيبة للغاية، يرتدون ملابسا عجيبة مختلطة نافرة الذوق وشاذة جدا..

رغما عنى تقلصت أحشائى وأنا أتساءل عن كنه هذه المخلوقات وعن الرسام العجيب الذى رسم هذه اللوحات وعن الخيال المفزع الذى وصل لهذا الخيال المريض!

أخذت أتأمل فى اللوحات التى استغرقتنى، ولفت نظرى أن ملامحهم تبدو

طبيعية، وكأنك تتفرج على أشخاص أجانب فحسب، ولكن ألوان اللوحة فاسدة فقط..

ثم أحسست بالاتساع! وكأني أقف في وسط ميدان مثلا، وكأنما صار الكوخ بلا نهاية! الحوائط من حولي بعيدة متباعدة بشكل لا يصدق! الكوخ من الخارج ضئيل لكني هنا في قاعة كبيرة! ليست هذه مساحته الطبيعية على الإطلاق!

أغمضت عينيي وهززت رأسي قليلا، وعندما فتحتهما وجدت الأمور عادية.. لابد أنها خيالات من باب الإرهاق والخوف.. أين صاحب الصرخة اللعية كي نرحل معا من هنا؟

ورغما عني بدأ الفزع يشتد رويدا رويدا ويزيد ويتفاقم.. هذا المكان يعج بالخيال والهلاوس.. نعم.. إنها تخيلات لا أساس لها من الصحة، حتى ذلك الخيال المخيف المتحرك على الجدار المقابل.. شبح؟

و الدماء المتحركة بإرادتها الحرة على الجدران!

فليكفي هذا.. أنا لا أدري لماذا أنا مازلت هنا من الأساس.. لقد عرفت أن لا أحد يحتاج للمساعدة وكفى.. فلأخرج!

بهدوووء.. فلأتحرك بهدوء حتى أخرج من هنا..

بهدوووء.. أين الباب؟

لقد اختفى الباب فى الظلام!

أخذت ألعن نفسى..

أنت غبى.. غبى.. بل أغبى واحد عرفته فى حياتك.. تدخل كوخا مسكونا يا أحمق ياغبى؟ والآن بابه اختفى من تلقاء نفسه..

مرحى.. نحن نلعب إذا..

وليكن..

سأتسلح بالهدوء وأتصرف كرجل ناضج وعاقل وسأصرخ بأعلى صوتى مستنجدا بأى مخلوق..

أخذت أصرخ وأصرخ وأستنجد وأصرخ وأستنجد.. ولا يتجاوب معى سوى صوت ضحك خافت.. من أحمق مثلى ليدخل إلى هنا؟

مع ضربات قلبى اللاهثة سببت ولعنت كل شىء، ووددت لو كسرت بعض الموجودات ولكنى لم أجرؤ بالطبع..

حتى صراخى هذا لابد أنه يخيف العقلاء بالخارج ويدفعهم للهرب لأن ليس كل الناس حمقى مثلى..

لحظة هدوء..

أخذت ألهث وأنا أراقب الحائط من أمامى حيث يتلوى ذلك الظل ويرفع رأسه عاليا ويضحك..

شيطان يضحك..

وسط الظلال اخذت أبحث عن مخرج.. باب أو نافذة أو أى شىء!

قلبى يدق بعنف...

وشفتاى ترتجفان بما أحفظه من ذكر للخالق، ولكن..

لكن كلامى يخرج غير ذى معنى !

أين الباب؟

لايوجد باب!

* * * * *

أفقت من ذكرياتى القريبة هذه حين تغلبت غريزة الحياة على غريزة الخوف أخيرا، فهرولت أجرى فى كل مكان بحثا عن مخرج..

الكوخ غارق فى الصمت فجأة وبدا أن من فيه ويسكنونه يستمتعون تماما بذعرى هذا.. أتعلم ذلك الهدوء المخيف الذى يسبق العاصفة والذى تدرك أنه كذلك؟

لا مخرج..

لا مخرج..

مساحة هذا الكوخ شاسعة حقا وحجراته لا نهائية !

ساعدني يا الله..

غرفة من داخل غرفة من داخل غرفة! والأسوأ، عندما ألتفت خلفى بعد اجتياز الباب لا أجد الباب! بل أجد واحدا جديدا على الطرف الآخر فأجرى وأحاول اجتيازه ويتكرر الأمر! كلما اجتزت بابا لغرفة مجاورة تحول الباب لجدار!

لا مفر ولا مهرب من هنا!

عند هذا الحد بلغ بى اليأس مبلغا كبيرا فوقفت.. لا بد أنى مرت على ساعة فى هذا الجحيم.. كدت أنهار كليا حين..

لمحت تلك النافذة!

نافذة..

أخيرا..

صحيح أنها تطل على ضوء أصفر مؤذ للعين والجلد، ولكن ما من مفر غيرها..

جريت نحوها وحشرت جسدى النحيف بداخلها ودفعت نفسى بكل ما أوتيت من قوة.. كانت تؤدى لخارج المنزل، والخروج من هنا وحده يعد مكسبا رائعا.. حشرت نفسى بقوة ودفت بأقصى ما استطعت لدرجة أنى اندفعت من النافذة اندفاعا جعل جسدى يتدحرج بعنف على الأعشاب حتى سكن أخيرا.. أشعر كأنى وقعت من مكان عال، والهواء هنا رائحته غريبة للغاية..

أخذت نفسا عميقا فآلمنى جدا وكأنى أتنفس مسامير مسنونة..

بالفعل أتنفس بصعوبة وألم! ظللت راقدا بضع لحظات أحاول التأقلم حتى خف الألم قليلا، ثم اعتدلت فى مكانى.. أين أنا؟

فتحت عينى لأتأمل الموجودات فى دهشة كبيرة.. المكان غريب جدا ولم أشاهده من قبل قط حتى فى كوابيسى..

بالأحرى شاهدت شيئا مثله من قبل..

منذ قليل..

اللوحات!

أحسست بالذعر يعود ليقبض بقبضته القاسية على قلبى..

ومن بعيد سمعت أصواتا غريبة، ورأيت تلك الكائنات الغريبة وهى تقترب.. الكائنات الغريبة التي رأيتها فى الصور من قبل!
بحذر شديد اقترب واحد منهم..
ما أغربه وأغرب ألوانه! أشعر بالخوف يكتنفنى منه، لابد أن الكوخ فتحة لعالم عجيب.. وعيون القادم تحمل الشر أو الفضول؟ يجب أن أهرب من هنا!

نهضت بصعوبة محاولا الهرب حين أصدر ذلك الغريب صوتا مزعجا جدا آذانى بشدة وهو يقترب منى.. إذن لابد أن أهجم عليه كى أخيفه..

اندفعت نحوه ودفعته بعنف كى يصمت عن هذا الصوت المؤذى، فوقع على الأرض وارتطم بصخرة مدببة على الأرض الغريبة!

دق قلبى فى عنف وأنا أرى بقعة دماء غريبة اللون تنتشر حول رأسه! إنه ضئيل الجسد كطفل، ولا بد أنى آذيته أذى بالغ دون قصد! أنا فقط خائف!

ماذا ستفعل جماعته معى حين يرونه مصابا، خاصة وهم يقتربون من بعيد..

ياللهول..

ياللهول..

لم أكن أقصد ..

لم أتعمد ذلك..

كان مجرد رد فعل تلقائى..

كيف أثبت وجهة نظرى؟ كيف أقنعهم؟

نظرت للكائن الغريب تحت قدمى فوجدت النزيف يزداد! ما أشد غرابة

لون هذا الدم..

دم أحمر!

لم أنتظر، جريت بسرعة بالغة وأنا أسمع الأصوات الغاضبة المؤذية من خلفى..

بوم!

صوت انفجار مروع أفزعنى بشدة، ثم أدركت أنه صوت سلاح أطلقوه نحوى حين شعرت بألم عنيف يخترق قدمى كعامود من نار..

دمائى الزرقاء تغرق قدمى، ولم أستطع مواصلة الركض فوقعت على الأرض مرة أخرى وصدرى يئن.. ماذا تتنفس هذه الكائنات بالضبط؟

لقد تلفت أعصابى تماما، ويملؤنى يقين أن حياتى شارفت على الانتهاء!

اقتربت الجماعة منى وعيونهم تنطق بالاندهاش والغضب ممزوجا بالخوف منى! كيف أخبرهم أنى لم أقصد وأن الأمر مجرد سوء تفاهم؟

كيف أعرف أنا أنهم ليسوا أشرارا أصلا؟
يشع الغضب والخوف من عيونهم وأجسامهم ذات اللون الخمرى الغريب..

إنها النهاية إذا..

اعتدلت فى إرهاق ونظرت إليهم.. أحدهم يرفع يده بشىء أسود يوجهه نحو رأسى، فرفعت يدى الخضراء أحاول تفادى ما سيحدث ولكن..

بوم!

* * * * *

فى مشرحة تابعة للأمن الوطنى:

طبيب واقف يسجل تقريرا عن الجثة أمامه:

" الجثة لشاب ذكر، له نفس ملامح البشر، وإن كان لون دمائه مختلف عن لون الدماء البشرية الحمراء المعتادة.. ظهر فى البقعة (ك –22) بعد فتح البوابة لخمس دقائق، ولا يفهم أحد من أين أتى.. ظهر فجأة فى حديقة عامة قريبة وتعدى بالهجوم على طفل صغير، فهمنا لاحقا أنه لم يكن يقصد.. يتحدث بلغة قديمة للغاية، وبها حكى ماحدث له.. إصابته بالغة،

ومات فى تمام الواحدة وست دقائق بعد منتصف الليل، والتشريح يدل على وجود قصور حاد التنفس!

وعلى حد علمى هذه المرة الثانية التى يظهر فيها بشر بهذا اللون بعد ظهور الطفلين فى (وولبيت) فى إنجلترا فى القرن الثانى عشر.. وقد قالت الأخت أنها جاءت من أسفل)

هذا وقد أوصى العميد......."

تمت..

* * * * *

أنهيت هذه القصة وأنا أفكر كالعادة..

ماهذا السخف؟!

البيوت المسكونة تملأ كتب الرعب.. ليست هذه القصة هى ما أصبو إليه.. نهضت من مكانى متوترا وأخذت أفكر..

الهدوء يعم منزلى لأن زوجتى أخذت جارتنا (إسراء) والأطفال ويلعبون جميعا تحت المنزل فى حديقة عابدين.. فرصة لكى أثرثر مع صديقتى الذكية التى لن أذكر اسمها هنا طبعا!

أراك تبتسم فى خبث..

أنت لو اعتقدت هذا الاعتقاد ، فأنت – عذرا – أحمق..

هى مجرد صديقة ذكية أحب الثرثرة معها من حين لآخر.. وأفضل مافيها أنها تملك كل طباع الصديق الذكى.. هى فقط أنثى وهذا ليس ذنبها..

إذن لماذا أحدثها وزوجتى غير موجودة؟

حتى أنعم بالهدوء اثناء المكالمة أيها الذكى..

اتصلت بها وتحدثنا كثيرا.. وأثناء المكالمة جاءتنى فكرة.. لماذا أصمم على كتابة قصص الرعب؟

لماذا لا أغير اللون؟

خيال علمى مثلا؟

أعلم أن القصة الأخيرة تحمل صبغة الخيال العلمى، ولكنها محملة بالخوف.. فلماذا لا أتجه للخيال العلمى؟

أنا أعشقه.. لد. نبيل فاروق فضل كبير فى توجه جيل كامل للبحث العلمى والقراءة فى أدب الخيال العلمى! قد تتفق معه أو تختلف، وقد ترى ما تراه فيه، لكن يظل له فضل علينا.. يكفى أنك لو كنت قرائه أنك تفهم نظرية النسبية وحدود الفضاء وسرعات الضوء والكواكب ودخلت لعوالم لم تكن لتعرفها من دونه!

ما علينا.. يمكننى أن أكون كاتب خيال علمى! صديقتى اقنعتنى بذلك، ويجب أن أكون كذلك! والأفكار كثيرة جدا هنا وتحمل اختلافا كبيرا عما يقدمه كتاب هذه الأيام.. بل إن هناك فكرة رائعة ولم يتطرق إليها أحد من قبل..

(آلة الزمن)!

ربما هناك كاتب مشهور اسمه: (هـ. جـ. ويلز) بالطبع.. وأعتقد (د. نبيل فاروق) تناولها على استحياء.. وربما (د. أحمد خالد توفيق).. و أيضا أستاذ (أحمد بدران).. وربما..

لا بأس لا بأس..

أقصد أن عندى حبكة مختلفة..

أغلقت الهاتف متحمسا، والفكرة تختمر فى رأسى..

هكذا أخرجت كيس لحم من الثلاجة وقطعته فى شرود، ثم وضعت البصل والطماطم والفلفل الأسود، وصنعت الطحينة أيضا!
ماذا أفعل؟

شاورما طبعا! هل يوجد ماهو أفضل كى أقتحم عوالم الخيال العلمى المروعة؟!
الشاورما من مصادر الإبداع النقية الرائعة..
بل يذهب بعض المتشددين إلى أن الشاورما من طعام أهل الجنة..
وهو شيء ممكن على كل حال، ففى الجنة سأطلب أطنانا من الشاورما!

صدقنى.. لو أنك من عشاق الخيال العلمى مثلى، فستفهم أن الشاورما مفيدة جدا فى هذا الوقت، حتى فى الثقافات الغربية!

ألم تر الـ(أفنجرز) ينهون الحرب ثم يتناولون الشاورما معا؟ ثور وأيرون مان وهلك وبلاك ويدو وغيرهم.. كلهم يتناولون الشاورما!
أليس هذا فيلم خيال علمى؟

المهم أنى يجب أن أبدأ قبل أن تأتى الأسرة بضجيجها..

الآن!

* * * * *

آَلَةُ اَلزَّمَنِ

- آآآآآه.. أخيرا..

تثاءبت في قوة وأنا أتأمل في إعجاب وفخر ما انتهيت منه..
كنت واقفا في مصنع عملاق، وحولي بعض الفنيين والعلماء يتراجعون
إلى ما خلف جدار زجاجي بعدما أنهوا عملهم الآن فقط!

أجهزة ضخمة، ومولدات طاقة عملاقة، وخراطيم في كل مكان.. منظر

جدير بالفخر، خاصة وأن كل هذا ملكي ونتاج تفكيري أنا وحدي!

عشر سنوات، وأنا أبني هذه الآلة..

يالجمالها..

يالقوتها..

يالروعتها..

بل أنا الرائع.. أنا المذهل!

آلة الزمن.. هل يوجد شيء كهذا؟
الخيال العلمي قتل هذه الفكرة تناولا وظلت محض خيال لعقود كثيرة،
حتى استطاعت جماعة من العلماء تحقيق الأمر جزئيا.. لاحظ العلماء

وجود (تمدد في الزمن) لعدة أجزاء من الثانية، خاصة لدى رواد

الفضاء.. تم التأكيد على هذه النقطة بواسطة الساعات فائقة الدقة!

ثم أثبتوا أن الزمن يسير بشكل عجيب قرب الثقوب السوداء.. الزمن يتغير أيضا عند السفر فى الفضاء بسرعات خارقة، إذن الزمن يمكن تغييره!

ثم أن الأمريكيون فعليا أنتجوا آلة زمن بمحض الصدفة.. آلة بدائية جدا جدا، تستطيع نقل الجمادات فقط إلى المستقبل، ولمدة لا تتجاوز العشرين دقيقة.. لا أريد الدخول فى تفاصيل معقدة، لكن أريد التركيز على تحفتى..

آلتى.. شىء آخر عما قدمه العلماء!

الفكرة عندى تعتمد باختصار على قوة الدوران.. نعم.. فالزمن يسير للأمام بسرعة الضوء.. أى أنك لو زادت سرعتك الحركية قلت سرعتك الزمنية حتى نصل إلى سرعة الضوء فيتوقف الزمن تماما.. ولو تجاوزت سرعة الضوء يبدأ الزمن بالعودة للخلف ولكن بشروط..

حسب معادلاتى: كلما زادت سرعتى تفككت جزيئاتى وتحولت تدريجيا إلى طاقة.. ولكنها طاقة فريدة من نوعها.. طاقة واعية فاهمة مدركة لها القدرة على التعامل مع الموجودات معها من زمنها.. فقط..

بمعنى آخر: سأكون جسدا محسوسا ماديا بالنسبة لى وما معى من زمنى، ولكن مجرد طاقة صافية غير مرئية أو محسوسة بالنسبة لأهل الأزمان الأخرى، وغير قادر على التأثير فى شىء! بل غير قادر على لمس أى شىء!

أى أنى فعليا سألعب دور المشاهد فقط، بل ويمكننى تسريع الأحداث أيضا حتى أشاهد أكبر كم ممكن من الأحداث! وكأنى أشاهد فيلما ومعى الريموت الخاص بكل شيء!

أى روعة؟

أنا فعلا فعلا عبقرى، وأريد أن أروى ظمأى من أشياء كثيرة جدا..

و كم الأسرار التى أود معرفتها كبير جدا..

كهوف تاسيلى مثلا..

خطوط نازكا..

كهف الحيتان..

ستونهنج..

سأروى ظمئى للمعرفة الحقة، وهل هناك شيء أفضل من ذلك؟

الاحتمالات لا نهائية..

أفقت من تأملاتى وأخذت أتأمل الآلة..

آلة ضخمة حقا، ولولا ثروات أبى التى ورثتها لما كان من الممكن بناؤها أبدا..

فكرتها أن تدور أغلفة دائرية داخل بعضها دورانا سريعا جدا جدا يقترب من سرعة الضوء، بل ويتجاوزه نتيجة أن كل دائرة تدور عكس الدائرة التى بعدها، وعكس الثالثة وعكس الرابعة وهكذا.. الناتج النهائى قلب الدائرة سيصبح داخل سرعة الضوء فعليا.. لم يكن هذا ممكنا من قبل إلى أن صنعت آلتى..

المحركات القوية تملأ المكان وتهدر ببطء إيذانا باستعدادها للعمل..

كنت متحمسا، فبدأت بالتجهيز للتجربة الأولى..

على قرد طبعا!

قرد لطيف هو، أحضرته خصيصا لهذه التجربة..

حملت القرد الصغير ووضعته على الكرسى داخل الآلة، ثم خرجت من الآلة، بينما تغلق الأبواب واحدا بعد الآخر..

ثم دوى هدير المحركات تعمل.. الآلة تخوض رحلتها الأولى!

قلبى لا يكاد يثبت من فرط الحماس والتوتر وتدفق الأدرينالين!

انتظرت قليلا، وأخذت أراجع بعض الحسابات..

كانت الآلة الآن تدور بأقصى طاقتها وأضواء عديدة تخرج من بين ثنايا المعدن على الرغم من أنه لا يحوى فراغات!

يبدو وكأن هناك شمس صغيرة بالداخل، وهى العلامة الأكيدة على نجاح التجربة..

كانت أرضية المعمل تهتز قليلا.. الآن وصلت الآلة إلى السرعة

المفترضة وصوت الهدير يصم الآذان..

والمفترض أيضا أن القرد الآن سافر جزئيا فى الماضى ثم عاد.. لا

يهمنى ماذا رأى ما يهمنى هو: هل عاش؟ هل أصابه سوء؟

فليعش فقط، وليترك أمر المشاهدة لى أنا..

بدأ صوت الآلة يهدأ نذيرا بانتهاء الرحلة الأولى.. على أحر من الجمر الساخن انتظرت.. ما أن استطعت الذهاب إليها فتحت باب المعمل مسرعا وعدوت إلى باب الآلة وفتحتها متلهفا لألقى نظرة عما بداخلها..

إنه حى!

حى!

ولكنه منهك القوى يكاد يهلك من الجوع والعطش!

كيف نسيت ذلك؟ ياللمسكين.. لقد نسيت وضع له طعام وشراب! لا بد أنه قضى أوقاتا مؤلمة يحاول الـ.. لا أريد التفكير!

أسرعت بإخراجه وأنا أكاد أطير من الفرحة، ووضعت القرد جانبا ليفحصه المتخصصون ويطعمونه ويسقونه ويعتنون به طبيا، بينما ارتديت بذلتى الخاصة التى صنعتها خصيصا لتتحمل الطاقة العالية،وأنا أكاد أجن من فرط الحماسة..

دخلت لآلتى بانبهار وأخذت أتأملها فى غرام..

على الرغم من أنى الذى صنعتها إلا أنى اشعر كأنى أول مرة أدلف إليها.. أشعر كطفل صغير يستكشف لعبة جديدة لأول مرة فى حياته..

أمسكت جهاز التحكم الذى يمكننى من تسريع الزمن أو إبطائه.. أيضا يمكننى تغيير المكان لأذهب حيثما يحلو لى!

بكل حماس ضغطت زر تشغيل الآلة..

الآن سأجوب الأزمنة والعصور وسأبحث عن أجوبة لكل تساؤلاتى..

الآن سوف أضغط الزر..

* * * * *

دارت الآلة، وتعالى طنين أجهزتها والعديد من الألوان تتناثر حولى كالشرارات الكهربية من كل لون، ازدادت السرعة تدريجيا، وأصبح كل ما حولى هو الأبيض فحسب..

وجهت نظرى تجاه الشاشة، بدأ التاريخ يعود للوراء..

كدت أصرخ من فرط الحماس والفرح..أنا الرائد الأول فى التاريخ الذى يقتحم الأزمان والتواريخ..

ظللت هكذا بضع ثوان إلى أن هدأ الطنين العالى رويدا رويدا وبدأت المحركات تصدر طنينا آخريشبه طنين الطائرة عندما تهدأ محركاتها إلى أن هدأت تماما، وتوقفت الآلة..

أخذت أتنفس بصوت عال تعبيرا عن حماسى المطلق، وببطء غادرت مقعدى لأنظر أين أنا.. رحلتى الاولى يحددها العلماء، وبعد ذلك أحدد أنا ما أريده من زمان ومكان..

والحق أنها كانت مفاجأة رائعة رائعة.. لم أصدق عيناى أبدا.. وقفت فى مكانى أشاهد بانبهار مايحدث أمامى وأنا أكاد أكذب عينى.. مستحيل أن يكون هذا حقيقيا أبدا..

مددت يدى لجهاز التحكم لأسرع الأحداث قليلا وأتابع بشغف ما يحدث أمامى..

الآن أفهم..

الآن أعرف سر كهوف تاسيلى الغامضة، وهو سر لن يخطر على بال أحد على الإطلاق..

ياله من سر..

ياله من اكتشاف..

أخرجت كاميرتى وصورت كل شيء ممكن.. لن يصدق العالم ما أراه الآن وسيتهمونى أنى مخرج بارع فحسب.. ولهم الحق.. من يستطيع تخيل ما أراه الآن؟

تركت هذا المكان وعدت لآلتى كى أذهب لعصر جديد.. الجهاز بيدى يتحكم فى أوقات قليلة للغاية أما الآلة فهى التى تنقلنى من عصر لعصر..

جلست على مقعدى وكتبت:

" خطوط نازكا.. التاريخ: ألف عام قبل الآن.."

وصلت لهناك بعد ثوان لكن الأمور هادئة.. أخذت أعبث فى الأزمان باهتمام حتى فجأة شاهدت مالم يشاهده بشرى من قبل..

هذه المرة انحبس نفسى انبهارا بحق..

ياله من سر ! ياله من سر !

أخرجت كاميرتى وأخذت أسجل بلهفة ما يحدث أمامى.. حتى عباقرة هوليوود لن يتخيلوا هذا أبدا..

ظللت أتابع بانبهار ما يحدث، ثم قررت الانتقال.. إلى أين؟

الأهرامات بالطبع..

حددت الزمان والمكان وانطلقت.. وهنا الانبهار الحقيقى!

سجلت ما رأيت.. قلبى ينبض بالفرح الشديد.. لقد عرفت.. وكنوع من المرح كافأت نفسى بأن ذهبت لعمق التاريخ وشاهدت سفينة نوح وهى تستقر على جبل الجودى وتخرج منها أسراب الحيوانات والطيور..

يا الله.. ما كل هذا الجمال..

نظرت لساعتى..

لقد مر تقريبا عشر ساعات منذ بداية رحلتى، والآن يجب أن أعود..

يكفينى هذا لأنى أشعر بالإرهاق يكتنفنى، وغدا..

غدا سأزور أطلنتس!

نعم.. وسأكون أشهر عالم على وجه الارض..

أحس بفرحة غامره..

سجلت تاريخ الحاضر فى نفس الوقت الذى غادرت فيه تقريبا، لكن الآلة ستعيدنى بفارق نفس التوقيت الذى قضيته، أى عشر ساعات تقريبا..

لا مشكلة..

ظللت أنتظر اللحظات المعدودة هذه، ثم استقرت الآلة وخرجت منها بكل حماس ولكن..

صدمتنى النظرات الحائرة والخائفة لطاقم العمل الذى ينظر كله نحوى.. ماذا هناك أيها الحمقى؟

نظرات الترقب من العلماء بعد فتح الآلة.. كأنهم..

كأنهم لا يرونى !

شعرت بالقلق..

نهضت من مقعدى وصحت أن: مرحبا يا شباب لن تصدقوا ما رأيته..
نظراتهم نحو مقعدى جامدة ولم يتغير الوضع ولم يبد على أحد أنه سمعنى.. ما الذى يحدث بالضبط؟

صحت بتساؤلى: ماذا هناك؟ لماذا لا تردون؟

لا استجابة من أحدهم.. هناك من يهز رأسه فى أسى، وهناك من ينهض فى ضيق، وهناك من يتحدث فى قنوط.. اليأس والذعر والفوضى واضحة فى المكان.. ضجيج لا تكاد تفهم منه شيئا!

ماذا هنا.. ماذا يحدث ..

أنا.. خائف!

حل الرعب فى قلب محل الحماس.. ماذا هناك عليكم اللعنة؟

مددت يدى لأهز كتف أقرب الموجودين ولكن.. اخترقت يدى كتفه فى نعومة!

اتسعت عيناى فى دهشة وفزع..

أخذت أحدق فيهم متجمدا..

رأيت رئيس الباحثين يهز رأسه فى أسف ويتحدث.. جريت نحوه فى فزع لأفهم..

سمعته وهو يقول:

- كما توقعت.. لقد تجمد جسده فى حالة الطاقة وتحولت ذراته لطاقة صافية.. الفترة كانت طويلة جدا.. القرد بدأ يتلاشى بعد ساعتين أما هو فظل عشر ساعات!

القرد؟

هرولت فى جزع لأرى القرد مقيدا فى الفراش.. ومن حوله يتعاملون معه على أنهم لا يرونه !

ما معنى هذا؟

معنى هذا أنى وبعد كل هذا الوقت الذى قضيته فى الآلة أنى تحولت لشبح لا أستطيع التواصل مع أحد!

مددت يدى لأشرب من الكوب الموضوع أمامى فى إحباط لأنى لم أشرب شيئا فى رحلتى من فرط الحماس وشربت..

وكان أحد الفنيين موجودا، ينظر فى الاتجاه الذى أقف فيه.. إلام يحدق هذا الرجل؟

فجأة حدث هرج فى المكان.. الرجل يعدو نحوى ويصرخ ويشير للمكان الذى أقف فيه! هل تجسدت فجأة أم ماذا؟

ظللت واقفا بلا حراك وشيء من الأمل يتحرك داخل صدرى، ربما هناك حل رغم كل شيء!

التف العلماء حول مكانى يخترقونى ويقفوا جوارى بلا وعى.. مع الوقت اكتشفت أنى لا أستطيع مس البشر فقط، لكن كل شيء آخر متاح.. كل الجمادات كما هى بالنسبة لى!

وجدت ورقة وقلم فأخذت أكتب.. شرحت أنى هنا..

أنا..

أعظم علماء البشرية.. تظل إنجازاتى وما سجلته فى الظل لن يراها أحد..

رفعت رأسى وصرخت ثم كسرت القلم..

وبكيت..

لن يصدق العلم شبحا..

ببقايا القلم طلبت منهم رحلة أخيرة.. أريد أن أرحل من هنا.. أريد أن أظل في الماضي للأبد وأن أتلاشى في الزمن..

سأعود إلى أطلانتس!

قبل أن أذهب بالآلة وقفت والتفت إليهم وصرخت فيهم:

- إني أعرف كل الإجابات يا حمقى.. أعرف كل الأسرار..
هل يسمعني أحدكم؟
هل يسمعني أحد؟

ثم دخلت بعينين غائمتين من أثر الدموع وجلست..

انغلق الباب وهدرت الآلات منذرة برحلة أخيرة!

تمت

* * * * *

ألف وأربعمائة كلمة !

رررررررررررائع.. يبدو أنى لن أكتب رواية طويلة مرة أخرى !

أشعر بالإحباط..

سأنام الآن، وغدا بعد عودتى من العمل سأرى..

* * * * *

استيقظت منهكا.. أنا لا أنام جيدا منذ فترة طويلة.. موضوع الرواية يفسد على حياتى تماما.. أريد أن اكتب رواية لكنى لا أعرف ماذا أكتب !

بهدوء نهضت وذهبت لعملى وعدت..

نعم..

اليوم مر هكذا بلا أى أحداث على الإطلاق.. لذلك قررت أن أصطحب الأسرة ونتمشى فى وسط البلد قليلا ونأكل حوواشى من شلبى معا مرة أخرى! أنا لا أمل منه قط، وبعدها آيس كريم من قويدر وربما اشترينا ملابسا جديدة وهو ما حدث..

بعد الطعام تمشينا قليلا.. أنا متخم فعلا؛ هذا الحوواشى بالجبن والحوواشى بالسجق رائعين فعلا.. لكنى أفكر أنى أريد شراء ملابس لى.. أريد شراء عددا من (التيشيرتات)..

ولكن.. حدث شيء غريب نوعا فى أول محل..

عندما أدخل لأى محل يخبرنى البائع أن لا يوجد مقاسى!

هل المقاسات كلها للنحفاء فقط أم ماذا؟ ألا يوجد مقاسات معتدلة لمن هم على قدر بسيط من الامتلاء مثلى!؟

من محل لآخر، حتى وجدت ذلك المحل.. دخلت وكلى أمل أن أجد مقاسي، ووجدته.. لكن فى حجرة تغيير الملابس عندما خلعت ملابسى القديمة هالنى ما رأيت فى المرآة! من هذا؟

وما كل هذه الـ(بظابيظ) و (اللظاليظ) التى تترجرج من فوق الحزام؟

حاولت أن تتسع عيناى ذعرا، لكنى اكتشفت أنى لا أستطيع.. عيناى لا تتسعان لأنى (بدين)! تبقى منهما شرطتان توحيان بوجود عينين هنا قديما!

الذعر..

الذعر..

هذا الحوواشى هو السبب..

أنا لن آكل ثلاثة حوواشى معا مرة أخرى.. المهم أنى وجدت شيئا يناسبنى نوعا فاشتريت اثنين وعدت للمنزل..

الآن فقط فهمت شيئا مروعا فى غاية القبح والسوء.. أن ملابسى لا (تكش) أثناء الغسيل، بل أنا الذى (أتسع)..

وأمام المرآة لاحقا أنظر لنفسى مرتديا فانلة داخلية وأحاول استعراض عضلاتى.. أين عضلاتى؟

دخلت زوجتى مكفهرة، فقلت لها مبتسما أن تنظر لـ(شوارزنجر) أمامها، وحاولت شفط بطنى وإبراز صدرى وأنا أقول لها: انظرى لعضلات زوجك!

نظرت فى تهكم، ثم وضعت إصبعها فى صدرى فغرس.. آآآه.. ماذا تفعلين يا امرأة؟

فضحكت باستهزاء قائلة:

– أى عضلات هذه؟ أين العضلات يا رجل؟

– آآآآآآآآآآآه.. أنتِ لا تفهمين شيئا.. اصمتى.. انظرى: هذه عضلات (طرية)..

ضحكت فى تهكم مرة أخرى وخرجت من الحجرة، فتركت بطنى تعود لسابق عهدها وجلست وأنا أفكر.. ربما أنا سمنت قليلا؟

لحظات وعادت تضحك وهى تهز رأسها ذات اليمين واليسار عجبا منى، فرفعت رأسى عاليا شامخا وقلت لها بكبرياء:

– حسنا.. سأذهب غدا لطبيب..

– أفلح إن صدق.. أنت مغرم بالطعام ولن تذهب!

– آآآآآآآآآآآآآآآآآآآه.. اخرجى من هنااااااااااااااااا..

خرجت وهى تضحك.. لكم أكره برج الأسد هذا.. أحب زوجتى لكنى أكره برج الأسد!

زفرت فى ضيق وأحضرت قطعة بسبوسة وجلست أمام الحاسوب..
سأكتب وأنا متضايق هكذا لأخرج أسوأ ما عندى.. كل العظماء أخرجوا أحسن ما عندهم فى وقت ضيقهم، ولكن.. سأصنع كوبا من الشيكولاتة الساخنة أولا حتى أستطيع التركيز..

سأكون قاسيا هذه المرة!

* * * * *

هذه قصة بشعة.. لو قرأتها أنا لكاتب آخر لاتهمته أنه مريض ويجب أن يعالج، ولكنه لون أدبى.. نقل الواقع! أنا أحب الرعب بكل أنواعه..

أسرح قليلا فأجد نفسى أكتب كل هذه البشاعة..

لا تقرأ هذه القصة من فضلك..

لو تكره الدماء.. لو كنت مرهف الحس فلا تقرأها!

لو تكره الرعب المعوى.. لا تقرأها!

ولو قرأتها؛ هل يمكن أن تتمالك أعصابك؟

بحسبى ما بداخلى!

* * * * *

نظرت لهذه المقدمة بإعجاب.. هذه وحدها ستجعل الرواية قوية..

فلأكمل:

* * * * *

مَنْظُوْر!

كنت جالسا فى المعسكر مع رفاقى نتسامر.. هؤلاء هم آخر المؤمنين فى الدنيا ومن فى الخارج هم الكفرة فقط!

نعم..

نحن على الحق والصواب، أما الباقون فهم كفرة!
أتعلم ذلك وأسمعه يوميا منذ شهور، وهؤلاء الكفرة لا يجوز معهم إلا القتل فقط وبأبشع الطرق الممكنة..
صحيح أن النبى قال إذا قتلتم فأحسنوا القتلة، ولكن الشيخ شرح لنا أن الحديث لا ينطبق مع هؤلاء..
يجب أن نتلذذ بقتلهم، وكان لنا قدوة حسنة فى المؤمنين منا حقا الذين قاموا بالتخلص من أهلهم الكفرة أنفسهم وقتلوهم نصرة لديننا!

هناك فتى مؤمن قتل أباه وهناك آخر شديد الإيمان قتل أمه.. أما صديقى هذا، فقد نحر بالسكين عائلته كلها!

بارك الله فى أصدقائى. .
وتعلمنا أن قد وقع على عاتقنا مهمة ذبح كل هؤلاء الكفرة، ونحن الآن فى انتظار المجموعة القادمة..

ها هم..
خرجت جموع المقاتلين الأشداء يبحثون عن كفار وقد ظفروا ببعضهم ثم

عادوا إلينا تسبقهم صيحات التهليل والتكبير.. سرعان ما دخلوا معسكرنا المبارك تسبقهم صيحات التكبير والتهليل كما قلنا يدفعون بسبعة من الشباب المقيدين خلف ظهورهم، وهناك من يقوم بالتصوير..

الضحكات تتعالى..

سنقتل أعداء الله، وما أكثر مرحا من أن نرى هؤلاء يتخوضون في دمائهم كما تخوضوا في حقوق الله بغير حق؟!

كانوا يدفعونهم بقسوة، وبعض الشباب الأسرى لا يفهم ماذا يحدث بالضبط!

لماذا قبضنا عليهم؟

لأنهم كفرة. .ليسوا منا، فأصبحوا كفرة..

دلفوا للمعكسر وسط السباب والبصاق والركلات والضربات، ثم بأقصى قسوة ممكن طرحوهم أرضا وأخذنا نضحك على منظرهم المزرى. .

هناك من يتلوى وينتفض ويصيح خوفا. .وهناك من يرقد باستسلام. .

وهناك من يرفع عينيه بذهول يلتمس رحمة لن يجدها..

نعاج. .

بل النعاج خير منهم. .هؤلاء كفرة. .

بدأ القائد عندنا يتقدم بخطى بطيئة متبخترة نحو الذى يتلوى ويصرخ. .

كان يصيح:

لا أريد الموت. .أريد أن أصلى آخر ركعتين. .أصلى. .أصلى. .

لكن القائد قال فى غلظة:

لا صلاة لك أيها الرافضى. .لن يقبل الله!

وقف القائد أمامه وصاح به أن يقبل حذائه.. فقبلها الفتى.. هكذا دون مناقشة، فصاح أن هذا مقامكم تقبلون الأحذية يا كلاب وليس لكم إلا الموت، ثم صاح القائد: الله أكبر. .وانقض عليه جالسا بجسده الضخم على ظهر الفتى يثبته ويجذب رأسه للخلف، وسمعت الفتى يصرخ أيضا بصوت مختنق:

الله أكبر. .

وبدأ يذبحه وهو ينتفض من تحته! ثوان وبدأ جسد الفتى يهمد.. أما أقرانه الستة فقد أجبرهم مقاتلونا الأبرار على رؤية ما يحدث.. نعم..
ظل قائدنا الهمام يجز بالسكين رقبته حتى فصلها تماما، ثم رفع الرأس الذى يقطر دما عاليا، ولوح به أمام أقرانه الستة الباقين.. كنت أحب جدا رؤية اللحظات الأحيرة للحياة التى تنسحب من الرأس المبتور.. حركة العين الأخيرة قبل أن ينغلق الجفنان للأبد!

بتلذذ نهض القائد وسار خطوتين، ثم قرب الرأس المبتور من وجه أقرب الشباب المأسورين المستلقى على بطنه على الأرض و صاح:

– سبقك إلى جهنم أيها الكلب!

ثم اعتدل وركله ركلة عنيفة فى فمه. .ركلة جعلته يبصق سنا أو سنين. .
هنا أخذ الباقين من المجاهدين الحماس فانهالوا بالضرب على الستة

الباقين. .بالركلات وبالعصى وبالمدى الصغيرة وبالحجارة. .

ثم صاح القائد:

- توقفوا!

كان يلهث ويرمق الأجساد التى تئن أمامه..وأمر باستكمال الذبح رويدا رويدا..

كنت أنا أشاهد هؤلاء الكفرة وهم يذبحون ولم أشارك فى ضربهم. .كنت أشعر بالكسل ولا أريد أن أضرب أحدا اليوم، لكن نادانى واحد ممن يمسكون بشاب بقربى مطروح أرضا أن تعال. .وبخطى مترددة نهضت و تقدمت. .

نظر رفيقى نحوى بابتسامة، ثم قام وداس بقدمه الثقيلة على الشاب المستلقى أرضا.. ناولنى سكينا، وقال:

- اذبح هذا. .باسم الله هيا. .

تأملت السكين، ثم نظرت للشاب. .كان الذى يصور الآن يقف خلفى محولا الموضوع لأمر واقع.. لا يمكننى الآن التراجع، لأن هذه التسجيلات مقدسة!

هكذا انحنيت لأجذب شعره وأرفع رأسه وأنظر فى عينيه قبل أن أذبحه..

كان يبكى ويئن.. عندما التقت عيناى بعينيه همس:

– أليس في قلبك رحمة؟

رحمة؟

علمونا ألا رحمة لك.. أنت كافر..

وبدون أن أرد عليه بدأت أعمل سكيني في رقبته..

ياللسكين اللعين. .لم يعد حادا على الإطلاق. .بالفعل تعبت جدا حتى أتممت فصل الرأس..

هل تألم؟

بالطبع تألم بشدة.. أكيد شعر بالسكين تخترق عظامه وتنحر لحمه وعروقه! فليعتبره ألم تمهيدى لعذاب الله له فى جهنم..

مسحت السكين فى ملابسه، ووضعته فى حزامى، وأنا أراقب ما يحدث لبقية الشبان..

لا رحمة..

لا رحمة..

فليمت هؤلاء الكفار..

ياللمتعة..

الآن يجب أن نغتسل ونصلى شكرا لله، وننام لنستيقظ مبكر ونبدأ الجهاد. .ولكن، فلنجمع جثث الكفار أولا..

عندما انتهينا، دخل كل مجموعة شباب إلى مكانهم.. ونمنا..

لم نلبث أن استيقظنا بعد فترة قصيرة على صوت رصاص..

هناك صرخات تتعالى فى كل مكان..

وأشعر بلفح نيران قريبة..

نهضت مفزوعا، لأتلقى ضربة قوية على ظهرى..

هناك من يكبلنى.. يجذبنى للخارج..

يسحلنى على الأرض..

أصدقائى المجاهدون حولى..

بعضهم يتم تقييده وهو على الأرض، وبعضهم قتلى بالفعل!

ماذا يحدث؟

ألم يقولوا لنا أن الله معنا وأننا لن نُغلَب؟

ماهذا؟

هناك مجموعة من الناس لا أعرفهم.. تلتمع عيونهم بالشر..

وفى يد كل واحد منهم سلاح نارى.. وسكين..

كانوا يرتدون ثيابا غريبة..

يصيحون جميعا: الله أكبر.. الله أكبر..

الموت للرافضة الكفرة..

وهناك منهم من يضحك بتشفٍ..

عم يتحدثون بالضبط؟

ياللهول..

إنهم يقتربون منا بالسكاكين..

إنهم يريدون أن يذبحوا صديقى..

هناك واحد يجثم فوقى ولا أستطيع الحركة..

يقيد يدى.. أنا.. لا.. أستطيع الحركة!

ألتفت يسارا.. وأنا أستمع لصوت سائل ينصب على الأرض، فوجدت عنق صديقى ينذبح ودماؤه تنصب على الأرض صبا!

تم قطع رأس صديقى..

نهض الذى قطع رأسه واقترب منى بخطى متبخترة.. كان هناك واحد يصور ما يحدث بهاتفه.. رمى الرأس أمامى مباشرة، وصاح أنه سبقنى للجحيم..

الذى يجثم فوقى استل من حزامى السكين..

جذب شعرى للخلف.. كنت أبكى..

أليس فى قلبك رحمة؟

الرحمة..

الرحمة..

الله أكـ..

تمت

* * * * *

تقلصت أحشائى مع النهاية.. ما هذا (الهباب) الذى كتبته؟ لماذا هذه الدموية المفرطة!

ربما أن الوضع كان يحمل شيئا من الواقعية فى بعض المناطق، لكنى لا أكاد أفهم شيئا عن الصراعات الحالية.. ربما يتم تأويلها بأى شكل! هذه قصة مخيفة ومرعبة أتعبتنى أنا شخصيا!

صحيح أنى أحب الدماء، لكن هذه قصة صعبة للغاية.. لماذا لا أكتب شيئا واقعيا لطيفا بعيدا عن الذبح والدم والأشلاء والتعذيب وغير ذلك؟
وكنوع من المساعدة تذكرت.. هناك كعكة بالشيكولاتة بالخارج، سأقطعها مربعات صغيرة وأرصها عشوائيا فى طبق، وأصب عليها بعض الشيكولاتة السائلة أو النوتيلا مع كوب لبن وآتى.. للحق أنا ذهنى مشغول فعلا واتساءل: هل أنا آكل كثيرا بالفعل؟

لا أعتقد.. إنهم يبالغون! أنا فقط جسمي قابل للزيادة.. أكلتى ضعيفة للغاية!

بالله عليك أى شىء أفضل من الطعام كى تكون سعيدا؟
النساء؟ بطبيعتهن يثرن القلق والنكد مع الوقت..
المال؟ ستشترى به طعاما فى النهاية..
الأطفال؟ لماذا؟ أنت تنفق عليهم أموالا كثيرة، كان يمكنك بها أن تشترى الكثير والكثير من الطعام..
لا شىء أفضل من الطعام!
ثق بى.. أفضل أربع مكونات للحياة السعيدة هى:
الطعام، والمياه الغازية ، والنوم، ثم مكون اختيارى مابين النساء والكتب أو الأفلام..

حتى أطباء النفسية يوصون بتناول الشوكولاتة كى تصير سعيدا.. بل كل الأطعمة الغنية بالدهون تجعلك سعيدا..

المهم..

تناولت قطع الشيكولاتة ومضغتها ببطء.. لذيذة لذيذة، وأبدلت اللبن بشاى بلبن.. عقلى يعمل جيدا عندا آكل..

التجارب تصقل الناس، والمآسى تثير الـ..

ليس هذا وقت العمق!

أنا مستعد!

وبفم ممتلىء بدأت أكتب:

* * * * *

اَلْمُوَاْطِنُ وَاَلْمُوَاْطِنَةُ

المواطن

استيقظ (المواطن) صباحا جوار زوجته الباسلة التى تعطيه ظهرها منذ تسع سنوات.. منذ إنجاب الابن الثالث تحديدا.. اعتدل على سريره فى إرهاق، و نهض فى تعب ليدخل دورة المياه قبل أولاده..

ثم دخل إلى المطبخ، ليجد زوجته تعد الساندوتشات للأولاد..

دون كلمة وقف جوارها ليعد أكواب الشاى ثم دخل ليوقظ أولاده.. فقط فتح عليهم النور وصفق بيديه.. وبينما ينهض الأولاد متعبين من نومهم، سمع تذمر زوجته من طريقته فى إيقاظ الأولاد !

وعلى باب الشقة وهم متجهون للمدرسة القريبة قالت الزوجة:

– لا تنسَ الخبز وأنت عائد..

–...

– انتظر.. خذ معك القمامة..

–...

– لماذا لا ترد؟ اتخرست؟

–......................................

– أحسن.. غدا بقية المصاريف.. الدفعة الثانية.. تسعة آلاف جنيه..لاتنس..

أومأ برأسه إيجابا بينما أغلقت الباب وراءه.. طاف بخلده كيف كان نزوله من المنزل فى بداية زواجه..

قبلة..

ربما حضن خفيف عندما كان ذراعاه بإمكانهما الالتفاف حولها..

دعاء بالستر..

الآن هو: (ثور) ! مجرد ثور يدور فى ساقية ليطعم أناسا آخرين.. الغريب أنه لم يعد يشعر بشيء من المشاعر الإنسانية من حزن وفرح ورغبة وما إلى ذلك..

تبلد تام!

يأكل لأن وقت الطعام جاء.. لايشعر بالجوع.. يشرب لوجود الماء.. لا يشعر بالعطش..

حتى لم يعد يشعر بالرغبة فى امرأته!

يتملكه شعور واحد.. (التعب)..

أوصل أولاده للمدرسة، وهناك: قبلات شكلية ومصروف ضئيل يكفى لكى يسرقه كانتين المدرسة باشمئزاز لأنهم لم يحضروا الكثير ليسرقوه..

ثم اتجه لأول الشارع ليستقل (مينيباصا) لعمله.. جاءت هذه السيارة كأن سائقها (مجنون سكران).. وقفت أمامه وشاب ما يتدلى من فرجة الباب والناس يكتظون بالداخل و ينادى على وجهته.. ركب وسط الحشود التى بالداخل.. طالما تساءل كيف يتحمل المينياص كل هذا العدد الرهيب دون أن ينهار.. السلم وحده يقف عليه حوالى سبعة أفراد.. وما لبث أن دخل الفتى النحيف ينزلق من بين الحشود ليجمع الأجرة.. أيضا لا يدرى كيف يتحرك هذا الفتى بكل هذه الانسيابية وسط الحشود المتلاصقة المتلاحمة.. وما أن يأخذ الأجرة، حتى يطير السائق بالـ(مينيباص) طيرانا، وعلى من يرغب بالنزول التصرف!

وصل (المواطن) لعمله اليومى الشيق حيث يفعل الكثير من اللا شيء!

يدخل تلك المصلحة الحكومية ويصعد للطابق السابع ويدخل الحجرة التى فيها تسعة مكاتب متلاصقة ويجلس خلف مكتب فوقه عدة ملفات لا يدرى فحواها.. ويشعر بالإرهاق..

الجو العام متعب كئيب جدا..

مروحة قديمة تئز وهى تدور..

إضاءة خافتة..

نساء تتحدث..

ضجيج..

كوب الشاى الأسود يوضع أمامه من الفراش ذى الرائحة الكريهة..

حسنا.. أمامه سبع ساعات من التشويق.. يستطيع النزول لبيته بعد قليل إن شاء مثل زملائه، لكنه رجل يؤدى عمله كاملا لأن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه كما هو معلق خلفه (وبالمناسبة هو لايعرف ما إذا كانت آية أم حديثا أم قولا مأثورا!) وعمله يقتضى الجلوس حتى الثانية.. ينتهى اليوم.. يعود للمدرسة.. يأخذ الأولاد عطنى الرائحة نتيجة اللعب طوال النهار.. يسألهم عن اليوم الدراسى، فيجيب الابن الأكبر متحمسا: رائع.. الحصة الأولى والثانية حكى لنا المعلم حكايات مشوقة.. والثالثة كانت ألعاب، وأخذنا الرابعة ألعاب أيضا.. والخامسة والسادسة كان المعلم غائبا فلعبنا فى الفصل.. السابعة كانت علوم.. كتب المدرس (أشياءا) على السبورة، وأخذ يتحدث مع زميله، فأخذنا نتحدث نحن أيضا.. الثامنة والتاسعة رسم، نزلنا فيهم الفناء لأننا لا نحب الرسم!

لم تختلف الإجابة كثيرا عن إجابة أخويه وعن إجابة الأمس وعن إجابات الأيام السابقة كلها.. لا بأس.. المهم أنهم فرحين.. عادوا للمنزل، وحان وقت الغداء.. كالعادة.. صلصلة طماطم يسبح فيها شىء ما: (بسلة، فاصولياء، لوبيا، بطاطس).. شىء من ذلك، ومعها قطعة لحم ميكروسكوبية وأرز.. ثم كوب شاى أسود آخر.. ثم..

صراخ متواصل من الأم وهى تذاكر للأولاد حتى التاسعة.. ثم – برقة – تضربهم (بالشبشب، بالحذاء، بالخرطوم) حتى يناموا وهم يضحكون مما يثيرها أكثر فتضربهم أكثر..

ياللحياة الرائعة!

فى هذا الوقت كان يجلس على الأريكة يشاهد التلفاز.. بعينين لاتفهمان شيئا يتابع.. كان لا أصدقاء له الآن.. تذكر منذ سنوات قليلة عندما كان له أصدقاء.. كانوا يتقابلون ويمشون معا، وربما جلسوا على مقهى يسهرون ليلا.. وربما تبادلوا زيارات عائلية، تتصاعد فيها الضحكات الصافية..

الآن كل هؤلاء خارج البلاد!

كان أحيانا يشاهد أفلاما أجنبية.. كان (المواطن) يتعجب.. لا ازدحام مرورى.. لا جوعى.. لا متسولين لزجين.. المباريات هادئة، والكل يتابع بشغف.. الشوارع لا قمامة فيها.. كيف يتحمل هؤلاء المعيشة دون قذارة وغبار وضجيج؟

كثيرا ما كان يشعر أنها أفلام خيال علمى.. لا يوجد ذلك.. مثل المسلسلات العربية التى يعيش أبطالها كلهم فى فيلات أو شقق ميدانية المساحة ومع ذلك فهؤلاء يمثلون دور الفقراء.. بل أفقر الفقراء!

خيال..

كثيرا ما كان يشاهد برامج الطبخ، ويقارن بين ما يشاهده، والقاذورات التى يشتريها فيتأكد أنهم يعرضون الخيال.. لا توجد طماطم بهذا الحجم..

لا يوجد بصل لامع.. لا يوجد خيار صغير هكذا..

ثم – عندما يحل الهدوء نتيجة نوم الأولاد – يغلق التلفاز وينهض ليدلف لحجرة نومه ويستلقى على سريره المؤلم ذى الهضاب والوديان

والكلاكيع القطنية.. يتمنى أن ينجّدَه أو أن يشترى مرتبة جديدة ولكن الجمعيات تلتهم أغلب مرتبه كى يستطيع أن يدفع مصاريف الأولاد.. تذكر عندما كان صغيرا.. كان أهله يذهبون به إلى البحر ليعوم.. يتمنى أن يفعل ذلك يوما مع أولاده.. سمع زوجته الباسلة تخطو داخل الحجرة بهدوء رغم حجمها.. لا يدرى كيف تضخمت هكذا رغم أن طعامهم قليل.. استلقت جواره على الجانب الآخر وأعطته ظهرها كالعادة، وبدأت تتحدث.. الحديث اليومى الذى لاتنتظر فيه إجابة منه.. منذ زمن تعلم أن يستمع لها فقط، وتعلمت هى ألا تنتظر منه ردا.. كل يوم حديث طويل عن نساء أخريات وقريبات نذلاوات وأناس اشتروا اشياءا.. كان يستمع بنصف أذن متمنيا أن يأتيه النوم سريعا لينقذه من كل هذا الهراء..

الغريب أنه لم يعد يحبها.. تذكر أنه كان يعشقها قديما.. يتمنى تقبيل قدميها لتبتسم فقط.. ماذا حدث؟ لايدرى.. ولا يكترث.. فقط يريد أن ينام.. وغدا يوم آخر..

* * * * *

المواطنة

استيقظت (المواطنة) صباحا وهى تشعر بالإرهاق..
نهضت بصعوبة من على جانبها من الفراش الذى اتخذ شكل جسدها منذ فترة..

قامت فى تثاقل لتعد الساندوتشات للأولاد.. كان زوجها استيقظ، ودخل ليوقظ الأولاد كى يذهبوا لمدارسهم..

وكالعادة وبخته بصوت عال.. يجب أن يتحلى قليلا بالرفق على الأطفال..

الحقيقة أنها لم تكن متضايقة من طريقة إيقاظه للأولاد، هى فقط تنفث عن توترها وألمها..
ماسبب التوتر والألم؟
لاتدرى.. ربما هو الإرهاق..
أنهت الساندوتشات، وعلى باب المنزل طلبت منه عدة طلبات وهو لم يرد كالعادة.. منذ سنين وهو لا يرد وهى قد تأقلمت على ذلك..
تذكرت أيام زواجها الأولى، عندما كان يودعها بكلمات رقيقة وابتسامة حنون.. وربما احتضنها أيضا عندما كان بوسع ذراعيه الالتفاف حولها!

ثم بدأت النشاط اليوم شديد الإثارة..

ببطء وملل تنظف الشقة..

كل شىء يتسخ فى يوم واحد..

كل شئ يتبعثر وكأن قنبلة تنفجر فى المنزل..

كانت تلهث من فرط الوزن الزائد.. وأخذت تفكر.. يجب أن تتبع نظاما غذائيا.. ولكنها لا تأكل تقريبا.. هل هناك طعام أقل من ذلك؟

قريبتها تقول لها أنها يجب أن تكشف عند طبيب.. ربما كان الكبد أو الكلى على غير ما يرام.. ربما كان هذا ماءا مختزنا تحت الجلد.. هذه (اللظلظة) الشديدة غير طبيعية..

لم تهتم، فالأطباء كلهم نصابون.. ومن أين لها أصلا بالمال للطبيب؟

أنهت الأعمال المنزلية، ونزلت فى إرهاق لتذهب للسوق..
شمس وغبار وحمير تجر سيارات خشبية تحت الشمس الحارقة اللاسعة..

ضجيج الباعة وخرفشة أشياء ما..

الباعة الذين يبيعون أشياءا لا يمكن تبينها من ندائهم..

لابد أن ترى لتفهم..

الأسعار عالية جدا جدا فتكتفى بالقليل من كل شىء..

كيلو من هذا على نصف من ذاك.. نقاش مع الباعة ثم تعود بغنيمتها للمنزل.. السلالم العالية.. لهاث مع كل درجة.. باب الشقة، ثم تدخل لتمسح عرقها وتبدأ الطبخ..

فكرت وهى تلهث أنها يجب أن تتبع ذلك النظام الغذائى..

ثم حدث شئ غريب.. وهى تقلب الصلصة وجدت نفسها تبكى !

اندهشت لذلك..

لم تبك بسبب البصل، وإنما بكت لسبب هى نفسها لا تعلمه..

وتطور البكاء إلى نهنهة، ثم تشنجات لا تستطيع السيطرة عليها.. وارتفع صوتها بالأنين للحظات!

كان شيئا غريبا، فجسدها يفعل أشياءا من تلقاء نفسه..

يبكى رغما عنها!

اندهشت لذلك جدا، ولكنها شعرت بالراحة ما أن انتهت نوبة البكاء اللاإرادية هذه..

ثم أعدت لنفسها كوبا من الشاى، وخرجت لتشاهد شيئا ما على التلفاز..

كانت مذيعة قبيحة تتحدث عن حق الشباب فى العمل؛ خاصة الذين يتقنون لغات أجنبية..

تذكرت أنها خريجة كلية مرموقة درست فيها السياسة والاقتصاد، كما كانت تتقن الإيطالية التى نستها..

لكنها لاتذكر شيئا من ذلك..

لا بأس..

لا يوجد أحد يتحدث الإيطالية الآن، وهى لن تسافر إيطاليا على كل حال..

عادت بذاكرتها إلى حين كانت تأخذ منحة التفوق كل عام.. كانت تفرح وتشترى الكثير من الملابس..

بينما هى شاردة هكذا ارتفع رنين هاتفها، نظرت بلا اكتراث إلى الرقم.. إنها إحدى قريباتها الثرثارات.. ممتاز.. ساعتين من الكلام المريح.. خاصة وأنه على حساب تلك القريبة الـ.. لا تدرى بالضبط.. هى لا تحبها أبدا، ولكنها ترغب فى الكلام مع شخص ما.. على الرغم من أن الحوار غالبا ما يضايقها.. ولكنها لاتستطيع منع نفسها..

بعد فترة عاد الأولاد من المدرسة.. بدأت تحضر لطعام الغداء، بينما يعيث الأولاد فسادا فى كل شىء..السيطرة عليهم شىء صعب جدا.. خطر لها أن تطلب منه المساعدة بصددهم، لكنها كانت تقول يكفى ماعليه من التزامات.. ورغما عنها تجد فمها (يبرطم) بكلمات هى نفسها لا تفهمها..

بعد الغداء والاستحمام السريع، تجلس مع أولادها لتذاكر ما أخذوه..

لاشىء !

تثور الأم وتقوم لتعاقب أولادها على عدم تلقيهم العلم فى المدرسة.. لابد أنهم حمقى أو أغبياء لعدم تذكرهم ما درسوه.. وتبدأ فى مذاكرة الدروس (الافتراضية)، تحت تأثير: (الشبشب، الحزام، الحذاء، وربما الخرطوم)..

بينما تحاول السيطرة عليهم يجلس زوجها ليتابع التلفاز.. ورغما عنها تتذكر أياما كانا يجلسان سويا فى حضن بعضهما يشاهدان التلفاز معا بسعادة.. بل ويضحكان.. نعم.. تذكر أنهما كانا يضحكان.. وربما كانت

تحبه يوما ما أيضا.. هى الآن لا تحبه.. ولكنها لاتستطيع الاستغناء عنه لحظة..

ولكنها تشتاق له!

مشاعر عجيبة متباينة، ولكنها سرعان ماتنفضها من قلبها وتنتبه لمذاكرة الأولاد..

الساعة التاسعة..

تستخدم أسلحتها لدعوة الأولاد إلى النوم، ثم تدخل بهدوء رغم حجمها الضخم إلى مكانها المفضل على السرير، وتنام على جانبها الأيمن، معطية زوجها ظهرها..

دائما ما تنام على جانبها الأيمن، لأن قلبها يؤلمها عند النوم بأى وضعية أخرى..

قالوا لها أن ذلك نذير لمرض القلب ولكن ماذا يعرفون على أية حال؟

فليقولوا ما يشاءون؛ فزوجها لم يبد اعتراضا أبدا..

فى الواقع هو لا يظهر أى رد فعل على أى شيء وربما كان سعيدا بهذا الوضع!

تبدأ فى حكاية ماحدث فى يومها..

أخبار أهلها الأوغاد..

أخبار صديقاتها فى خارج البلاد وكيف أنهن سعيدات!

تحكى لها ما مر من أحداث فى السوق..

أحيانا تتمنى أن تسمع منه ردا.. (مممممممم) على سبيل المثال..

وتذكرت أياما كان يحتضنها فيها ويستعذب كلامها، ويناقشها!

نعم كان يناقشها..

كانت تعلم أنه ربما يكون قد غلبه النوم، ولكنها ظلت تحكي وتتحدث، وهي لاتعي شيئا مما تقوله، لكن صوتها يريحها.. الكلام يريحها! ورويدا رويدا غلبها النوم، وبينما كان جفناها ينطبقان ببطء انسابت من عينيها دمعتان دون أن تحس، لتذوبا وسط نسيج الوسادة..

وغدا يوم آخر..

تمت

* * * * *

نظرت للقصة.. لابد أنى فى حال يرثى لها.. بغض النظر عن هذه السوداوية إلا أنى فى حال سيئة فعلا! ربما بعد عودتى من عند الطبيب غدا يتحسن الحال..

سنرى..

وفجأة سمعت صراخا..

نهضت مسرعا لأرى ما هناك.. برص!

لقد دخل بيتنا برص!

أسرعت وناديت زوجتى كى تتصرف!

أرجوك لا تسخر لأنى أخاف بالفعل من هذه الكائنات البشعة.. ولا تنسَ أن زوجتى برج الأسد يا صديقى، وهى تستطيع التصرف جيدا فى هذه المواقف..

بالفعل تعاملت مع الموقف كما ينبغى لأسد أن يفعل، حيث انهالت على رأسه بالشبشب حتى مات!

هكذا تكون المعاملة أيها الوغد..

انتهت هذه الحادثة بسلام وذهبنا لننام.. وغدا يوم آخر..

* * * * *

فى اليوم التالى ذهبت للطبيب الذى ابتسم عندما رآنى، وصعق عندما رأى وزنى.. أعطانى نظاما لطيفا جدا لا آكل فيه شيئا تقريبا، ثم تركنى ليرى ما سوف أفعله..

حسنا..

سأبدأ غدا، ولكن اليوم سأنتقم..

كيلو كبدة مقلية ونصف جمبرى وكل السلطات من فضلك..

لا بأس من تورتة أيضا.. غدا سأخس عليكم اللعنة..

هل اشتريت المياه الغازية؟

وأيضا مياه غازية..

لا أريد أن أشعر بالحرمان..

وهكذا ذهبت للمنزل حاملا غنيمتى اللذيذة، وجلست معهم أتناول العشاء الدسم.. وبعدما أنهيت كل هذا الطعام بدأت أكتب..

يارب.. أريدها رواية طويلة هذه المرة.. هذه قصة قرأتها منذ عدة أيام على بريدى، ويبدو أن صاحبها عانى وعانى وقاسى بشكل غير معقول ليخرج كل هذا الـ..

لن أحرقها..

تابع معى:

* * * * *

بَيْتُ اَلْأُسْتَاْذِ (جَاْبِر)

الفصل الأول:

المشهد الأول:

ركزوا معى جميعا.. هذه هى الخطة النهائية..
قال ذلك الكلام رئيس شركتنا الضخمة بصوت هادىء فى الميكروفون داخل حجرة الاجتماعات، على الرغم من أننا لا نتجاوز العشرين فردا..
ثم أكمل:

- سنبنى المركز التجارى هنا.. لن يعوقنا ذلك الرجل الذى لايريد بيع منزله.. أريد منكم فقط أن تجدوا وسيلة لإخراجه من منزله وإبعاده قليلا.. سيمكننا عندها هدم المنزل بأى وسيلة، ثم نعوضه لاحقا..

تنهد المدير.. ثم رفع عينيه للأعلى وهمس بصوت التقطه الميكروفون الحساس رغما عنه قائلا:

- لماذا لايترك المنزل ويذهب؟

كنت أعرف طرفا من الموضوع، لأنى ذهبت إلى صاحب المنزل عدة مرات مع من ذهب.. وكل مرة يستقبلنا بشكل ودود للغاية، ويستمع فى صبر لعروضنا، ثم يرفضها رفضا قاطعا.. ويودعنا مبتسما على الباب ثم يغلقه فى هدوء بعدما نذهب!

كان عجوزا طيب الملامح يوحى بصدق وصفاء.. ملامحه تحمل آثار تجارب كثيرة، ولكنه صامد فى وجه الحياة!

لكن.. لست أدرى لماذا لا يرحل فقط!

كم عرضنا عليه عروضا خيالية.. عروض لا يمكن أن يعرضها إنسان بكامل عقله، أو يرفضها إنسان بكامل عقله.. حتى توقعنا أن صاحب شركتنا الأستاذ (جابر) سيلجأ للعنف، لكنه يعاود إرسال عرض جديد للعجوز..

ومع الوقت لاحظ عدد من الموظفين شيئا غريبا.. لاحظوا شبها كبيرا بين الأستاذ (جابر) والعجوز صاحب المنزل!

ثم – مع بعض البحث الفضولى من موظف معنا – اكتشفنا أنهما..

أخوان! شقيقان بالأحرى!

وهنا اشتعل الفضول.. ما الذى يحدث بالظبط؟

لكن لم يجروء أحد على سؤال الأستاذ (جابر).. حتى توصل أحد الموظفين إلى هذه الفكرة الجهنمية الخبيثة:

- علينا أن نخرج العجوز من منزله بأى طريقة وندمر منزله فورا، ثم نعوضه لاحقا تعويضا مناسبا..

لكن العجوز لا يخرج مطلقا! ومطلقا هذه ليست مجازية، فكل شيء يصل إليه عن طريق خدمات التوصيل المعتادة دون حتى أن يطلب!

كان كل اتفاقاته شهرية، والكل ملتزمون جدا معه..هناك فتى يحضر له الخبز والإفطار.. والغداء والعشاء يصنعهما لنفسه بيده.. ونادرا ما يتصل بالصيدلية، فعلى الرغم من كبر سنه إلا أنه لا يشكو مرضا..
فكيف سنخرجه؟

هنا قطع أفكارى رئيس العلاقات العامة..

(عادل)..

وهو شخص لزج نكرهه جميعا بما فينا الأستاذ (جابر) نفسه، والسبب الوحيد لإبقائه معنا هو أنه بارع حقا فى عمله ولا يكاد يتأخر أو يترك شيئا مما يتوجب عليه أبدا.. ولكنه ذلك الشخص الذى لايمكنك إلا أن تكرهه عندما تراه.. شديد الوسامة..شديد التألق والأناقة دوما.. تشعر أنه طوال الوقت يلمع فلا تلمح عليه أثرا للتراب أو الإرهاق أبدا.. وعلاوة على ذلك فجسده ممشوق رياضى!

باختصار، هو وغد فاتن لعين لا نطيقه جميعا!

قطع ذلك الوغد أفكارى بأن قال:

- أستاذ (جابر).. عندى اقتراح..

أشار إليه أن تكلم..

اعتدل الوغد ثم قال بصوت قوى واضح:

- سوف يسد أحد عمالنا سرا مجرى الصرف الصحى الخاص بالمنزل سدا محكما، وفى نفس الوقت نغلق المياه الحلوة الداخلة إلى المنزل.. ثم ندفع ببطء مياه المجارى إلى داخل المواسير التى سددناها؛ فيغرق المنزل تدريجيا فى المجارى العفنة.. بالطبع لن يتحمل العجوز كل هذا وسيضطر للاتصال بسباك ما.. العجوز استغنى عن الهاتف الأرضى منذ فترة.. يعنى هو لايملك خطا أرضيا، فقط الهاتف محمول، لذلك يمكننا وضع جهاز تشويش محدود مداه مائة متر جوار منزله ليصبح هاتفه غير ذى جدوى.. والنتيجة الحتمية أنه سيخرج بحثا عن إنقاذ..

وبمجرد خروجه نفعل بالبيت ما يحلو لنا!

انتهى الوغد من كلامه وساد الصمت، وإن علا الوجوه استهجان لما يقول.. اللا أخلاقية تفوح وعلى الرغم من ذلك، فقد قال الأستاذ (جابر) أنها فكرة جيدة، ولنبدأ فى وضعها فى حيز التنفيذ!

لاحظت كما الحظ الجميع أن وجه الأستاذ (جابر) يحمل آلاما معنوية لا نفهمها.. وافق ومن داخله رفض قاطع لهذه الفكرة لكنه وافق! ملامح وجهه كانت كمن يوشك على البكاء..

وانفض الاجتماع..

* * * * *

المشهد الثانى:

بدأ التنفيذ ليلا..

كنت أتابع مع الأستاذ (جابر) كل شيء عبر بث مباشر خاص إلى حجرة الاجتماعات..

بدأ العمل جوار المنزل على مسافة معقولة بحيث لايشك العجوز في شيء، بينما تسلل أحدنا ووضع جهاز التشويش جوار المنزل..

وبعدما سددنا الخط الخاص به بدأنا ضخ المياه ببطء.. وانتظرنا..

طال الانتظار حتى الصباح..

ثم إلى الظهر..

حتى ظهر العجوز في قلق أمام المنزل وهو يحرك هاتفه يمينا ويسارا بانتظار إشارة لن تأتي.. وكانت المياه عطنة الرائحة تخرج من عتبة المنزل مما يوحي بأن المنزل كله غارق في القذارة!

تمزق قلبي عليه وهو ينظر إلى منزله الذي يغرق.. نظرته الملتاعة هذه..

ثم أغلق الباب خلفه وخرج ببطء ليبحث عن مساعدة متخصصة.. سار للحظات بخطى واهنة في الشارع أمام منزله..

لست أدري لماذا يؤلمني قلبي كل هذا الألم..

وعندما أصبح على مسافة مناسبة دوى صوت الانفجار!

وكلنا نظرنا نحو العجوز الذي التفت باضطراب ونظر للمنزل واتسعت عيناه على آخرهما وارتجفت شفتاه وهو واقف يحدق بنظرات لا أدري كيف أصفها.. لا يتحدث ولا يتحرك.. لاشيء ولا تعبير إلا دموع تنهمر من عينيه..

نظرت نحو الأستاذ (جابر) على شاشة هاتفى فوجدت..

الدموع تنهمر من عينيه أيضا !

ما هذا؟

ما الذى يحدث؟

* * * * *

الفصل الثانى:

المشهد الأول: (قبل سنين كثيرة من الآن):

فى نفس المنزل القديم خرج طفلان يلعبان معا فى الحديقة الصغيرة أمام المنزل، بينما الأم والأب يجلسان معا فى الشرفة العلوية يتحادثان.. كم أن هذا المنزل جميل وصغير ويشبه المنازل الأوروبية الفاخرة.. كم أنهم محظوظون للحصول عليه.. فيلا صغيرة بثمن زهيد فعلا.. نظرت الأم إلى الطفلين وهما يلعبان ونظرت لبطنها المنتفخ وسألت زوجها:

- تعتقد أن القادم فتاة؟ أتمنى أن تكون فتاة..

ضحك الأب وقال:

- إن شاء الله ستكون فتاة.. وحتى لو كان ولدا لا بأس.. عندك ولدان تتمنى أى أم أن تحصل عليهما.. وسيمان متحابان على

الرغم من فرق السن بينهما.. لا أعتقد أن هناك أخوان لا يتشاجران أبدا مثل هذين الولدين.. حفظهما الله لنا..

على الرغم من حملها إلا أنها شبت على أصابع قدميها لتطبع قبلة على وجنته قائلة بهمس:

- حفظك الله لى يا حبيبى..

وفى الحديقة كان الأخ الأكبر (جابر) يلعب مع أخيه بهدوء.. كان قد بلغ السابعة عشر وأخوه فى الرابعة عشر.. والكل يتعجب منهما لأن والديهما لا يبدو عليهما الكبر أبدا.. الكل يعتقد أنهم جميعا مجموعة من الأخوة فحسب..

وقتها خطر لـ(جابر) خاطر.. نظر لأخيه وقال له:

- ما رأيك لو حاولنا قيادة السيارة؟ ستكون مفاجأة سارة لأبى وأمى..

نظر له أخوه بشك قائلا:

- لكننا لم نتعلم جيدا.. الفكرة رائعة ولكن..

قال (جابر):

- ليس هناك لكن.. الموضوع بسيط، وقد رأيت ابى يفعلها مرار.. المفتاح يدور ثم نضغط الدواسة ونحرك العصا.. هيا نجرب..

هز أخوه رأسه نفيا وقال:

- بل ننتظر أبانا يعلمنا.. هذا أفضل..

أومأ (جابر) برأسه فى قنوط قائلا:

– كما تحب..

* * * * *

المشهد الثانى:

استيقظ الأب ليلا على أنات زوجته وهى تمسك بيده وتقول له وسط شهقاتها المتلاحقة أن المولود قادم..

نهض من نومه سريعا وأسرع يرتدى ملابسه ليذهبا فورا فى المستشفى..

فى نفس الوقت:

جابر فى الفناء يحدث نفسه بقيادة السيارة.. يرغب فى ذلك بشدة.. لن يحدث شىء لو جرب..

سيجرب..

الأب يمسك يد زوجته وينزل معها رويدا رويدا على السلم..

(جابر) يدلف للسيارة بانبهار بعدما سرق النسخة الاحتياطية من مفاتيح السيارة..

الأب على مشارف المنزل ويلتقط مفاتيح السيارة الأصلية..

(جابر) يدير السيارة، وأخوه يسمعه فينظر من النافذة فى تعجب من جنون أخيه..

الأب يسير نحو السيارة..

جابر يحرك ذراع السرعات ويضغط على دواسة البنزين ضغطة غير محسوبة، ويرفع قدمه الأخرى من دواسة نقل السرعات..
تنطلق السيارة بغتة ويفقد تحكمه فيها فى اللحظة التى ظهر فيها الأب والأم الحامل و..

لم يستطيعا تفادى السيارة!

صراخ..

دماء تتناثر..

السيارة تعبر فوقهما..

ترتطم بالحائط..

عواء الأخ من أعلى!

* * * * *

الفصل الثالث:

المشهد الأول:

انتهت جنازة الأب والأم بينما (جابر) وأخوه يقفان فى حالة انهيار تام ثم يعودان للمنزل وحديهما.. كانا لا أقارب لهما، والاضطرار أن يعيشا

وحدهما الآن.. ما أن وصلا للمنزل حتى انعزل الأخ عن (جابر) تماما ولم تجد معه أى توسلات أو بكاء..
كلاهما محطم القلب والأعصاب تماما، لكن الأخ رفض رؤية أخيه مرة أخرى..

لم يستطع التعامل معه مرة أخرى..

ظل الحال هكذا عدة أيام ولكن..

الحال العام لهما تغير..

الأب كان مصدر الدخل الوحيد للأسرة.. أصبح الفتيان بعد وفاتهما يعيشان فى منزل فاره جميل و يعانيان شظف العيش.. ترك (جابر) مدرسته و عمل فى ورشة ميكانيكا.. لم يكن لديه حل آخر، بينما التزم أخوه الصمت.. صمت لم يجد معه كلام (جابر) او شرائه كل ما يحبه أخيه له..
لم يدخل الأخ السجن لسبب لا يعلمه إلا الله، فلم يحدث أى شبهة فى الموضوع.. لايفهم كيف سارت الأمور، لكنه يعيش مع أخيه..

قبضة الألم النفسى القاسية تعتصر قلبى الطفلين بعنف..

لم يخرج الأخ من عزلته هذه إلا للذهاب للمدرسة أو لقبر والديه المتجاورين فقط يدعو لهما ويجلس عندهما بالساعات يتحدث..

أما (جابر) فلم ييأس يوما.. تفانى فى العمل، حتى أنه أثار إعجاب زبون ثرى، فطلب منه العمل فى شركته..

وبصورة غريبة أثارت طريقة كلام (جابر) المهذبة والمتحفظة فضول الثرى كى يفهم.. هذا ولد يبدو عليه أنه من أسرة ووسط غير وسط أطفال الميكانيكيين.. ما قصته؟

وفى مصنعه، حكى (جابر) للثرى قصته بالكامل والدموع لا تتوقف عن الانهمار من عينيه.. بل ومن عينى الثرى الذى كان يعرف أبيه من بعيد!

فكان قراره أن يحتضنه كابن له..

ومع الوقت علمه كل شىء..

* * * * *

المشهد الثانى:

<u>بعد بضع سنوات:</u>

حفل زفاف كبير يضم (جابر) وابنة صاحب المصنع.. وأخوه جالس فى منزله لم يحضر الفرح..

* * * * *

الفصل الرابع:

المشهد الأول:

ربما تبتسم الحياة بعد ألم كثير.. بعد وفاة صاحب الشركة أصبح (جابر) هو المدير الرسمى لها.. انخرط تماما فى العمل حتى أنه تباعدت زياراته لأخيه تدريجيا، ولكن ظل ينفق عليه بسخاء.. أخوه ترك الدراسة منذ زمن، وعمل فى عمل بسيط بالقرب منه، ثم تركه أيضا وظل قابعا فى منزله لا يخرج..

الحادثة القديمة أحرقت اعصابه تماما، فلم يعد يستطيع التعامل مع المجتمع على الإطلاق.. خاصة وأنه لم يتلق الرعاية النفسية المناسبة..

فكان أن دفع (جابر) بأخيه إلى إحد دور الرعاية النفسية لاحقا!

ونسى – أو تناسى – أمره تماما، وظل سعيدا فى حياته هذه يطمئن على أخيه من وقت لآخر، حتى اضطر ذات مرة للسفر بعائلته.. سفر امتد لعدة سنوات لأنه كان يتعاقد على مصنع كامل فى إحدى دول أوروبا..

سنين طويلة مرت.. ومع أنه كان يحاول وئد هذه المشاعر إلا أن إحساس الذنب لم يفارقه ابدا..

عندما عاد من سفره ذهب بلهفة ليرى أخيه.. وفوجىء أنه خرج إلى منزله وقد قرر الانعزال عن الدنيا والناس وأغلق بابه على نفسه..

لقد حبس نفسه بإرادته داخل بيته مع ذكرياته وصور أبيه وأمه..

* * * * *

المشهد الثانى:

رباه..

شعر (جابر) بالألم يسحق صدره.. كان يفكر:

ماذا أفعل لأخى حتى يرضى؟ أخى الذى قرر أن يكون منزله هو قبره الاختيارى حتى يختاره الله إلى جواره ..

إذن.. لابد أن يخرج منه..

لابد أن يعود أخى للحياة ولو بالقوة..

هو لا يريد رؤيتى ولم يعد حتى يستقبلنى بود، فحاولت فى العامين الأخيرين أن أشترى المنزل منه بشتى الطرق.. بل تعمدت أن أشترى الأرض المحيطة به بدعوى بناء مركز تجارى حتى لا أترك له الخيار.. ولكنه رفض ..

* * * * *

لم يستطع (جابر) أن يظهر له نفسه مرة أخرى.. لم يستطع أن يعتذر له مرة أخرى.. يقول عن نفسه:

كان إحساسى بالذنب كبيرا.. ماذا أفعل.. يجب أن يخرج ويستمتع بحياته ويتزوج وينجب.. يجب أن يترك هذا المنزل، لذلك لم يتبق أمامى إلا حل واحد.. هذا الحل المقيت..

كان الأستاذ(جابر) شاردا تماما فى كل هذه الذكريات حين جاءه الصوت عبر الإنترنت:

– سيدى هل تسمعنى؟

انتفضت من ذكرياتى على صوت أحد المهندسين.. نظرت له بعينين خاويتين وأمرته أن يعيد ما كان يقوله مرة أخرى..

تنحنح المهندس قائلا:

– أصبح الآن مكان المشروع خاليا يا سيدى.. هل نبدأ فى تجهيز المكان؟

نظرت نحوه صامتا، ثم أخذت شهيقا لأستطيع أن أتكلم.. زفرت وقلت له أن يترك كل شىء كما هو، فقط فليحضروا لى الرجل العجوز..

عندما قلت الرجل العجوز هذه شعرت بسخرية داخل نفسى.. هذا العجوز أصغر منى بسنين ولكن..

بعد بضع دقائق عاد المهندس يكلمنى.. أخبرنى فى توتر أنهم لا يجدون الرجل !

ـماذا؟! غير ممكن.. ابحثوا عنه فى كل مكان.. لا تعودوا من دونه أبدا أيها الحمقى وإلا فاعتبروا أنفسكم مفصولين..

أنهيت الاتصال ووضعت رأسى بين كفى وبكيت..

رباه ماذا فعلت..

ماذا فعلت..

استمر البحث يومين كاملين..

يا الله..

أخى..

كنت أبكى كما لم أبك من قبل..

أخى وأمى وأبى..
كيف أطلب مسامحة كل هؤلاء؟

يارب ساعدنى..

وفجأة لاحت لى بارقة أمل..

نهضت من فورى إلى مكان أعلم أنى سأجد أخى هناك..

قدت سيارتى بسرعة إلى..

المقابر!

عندما وقفت أمام المقبرة كان قلبى ينتفض ألما.. أنا لا أريد رؤيته هنا..

يارب..

ببطء دلفت لمقبرة أبى وأمى..

لقد كان الباب مفتوحا..

وفى الداخل وجدته نائما على التراب بين قبرى أبى وأمى ودموعه تغرق عينيه..

آآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآه..

انحنيت وجلست جواره محتضنا إياه..

فتح عينيه الباكيتين ينظر إلى نظرة خاوية..

اشتد احتضانى إياه وتراب المقابر يملأ ملابسه وخرجت الكلمات من فمى متسارعة متهدجة أطلب منه أن يسامحنى..

لا أستطيع التحمل..

لم أكن أقصد قتل أبى وأمى يا أخى..

أرجوك..

ليتنى أنا الذى مت يا أخى..

أخذت أبكى وهو لا يحرك ساكنا..

تراجعت قليلا لأنظر إليه فوجدته..

يبتسم من بين دموعه..

وبصوت هامس من بين شفتيه المشققتين همس:

– أسامحك أخى..

ثم أغلق عينيه..

* * * * *

بعد أسبوع فى الشركة، دلف الاستاذ (جابر) إلى مكتبه جوار أخيه الذى عاد للحياة بعد غيبوبة استمرت يومين نتيجة جفاف شديد..

لا أحد يصدق ما حدث لكنه يقول أنه رأى أبيه وأمه معهما طفل صغير يمسحان على جسده ويقولان له أن يسامح أخيه لأن أوان الحزن قد ولى..

وطلبا منه أن يعيش حياته ويتزوج وينجب حتى يكون له ذرية يفخرون بها، ولكنها..

تظل أقاويل متناثرة ولا أحد يعلم الحقيقة قط.

والآن..

جدد الأستاذ جابر المنزل، وعرفنا أن الأخين يعيشان معا هناك..

أنا لا أصدق هذه الحكاية.. لابد أن هناك أسرارا مدفونة، لكن.. هذا ما رأيته، وهذا ما أحببت مشاركته معك!

تمت.

* * * * *



اللعنة على هذه القصة.. لماذا فتحت هذه الرسالة؟

أقسم بالله لقد بكيت فعلا..

لماذا أكتب هذا الكلام؟

أنا رجل دموى أصلا وأحب الاشباح والعنف والفزع وكل هذا الكلام..

مالى أنا والمشاعر الإنسانية هذه؟

الحديث عن الشياطين لا يؤلم النفس هكذا..

نهضت وغسلت وجهى لأمسح أثر دموعى، وعدت للحاسوب أفكر..

لا شيء.. ربما يعيد النوم لى شيئا من تركيزى المفقود!

* * * * *

فى الصباح استيقظت مع زقزقة العصافير والفكرة تدور كاملة فى رأسى.. قمت منكوش الشعر أكاد أصرخ (يوريكا يوريكا) مثل أرشميدس..

وجدتها.. وجدتها..

يافرج الله..

هذه هى الفكرة التى ستصل بى للعالمية..

بل.. البوكر..

وربما جائزة الشيخ زايد..

تلك الكاتبة المغرورة رشحت روايتها لجائزة الشيخ زايد.. هل هى مغرورة فعلا؟

بالطبع لا ولكن..

لكن.. د.(سالى مجدى) رشحت روايتها (كوكب آمون) لهذه الجائزة..
بصراحة هى ليست مغرورة، ولكن يرشحونها هى ويتركونى أنا؟
أى ظلم !

يبدو أن علاقتها قوية بالشيخ زايد فعلا..

(كوسة)!

وبما يجاملونها كما أقول لها دائما!

ما علينا.. ربما يجب أن أقدم كتاباتى باسم د. (شيماء عصمت) مثلا..
ربما احصل وقتها على جائزة الملك فيصل ! حسنا.. أنا قادم أيها
العرب..

* * * * *

اَلْمَوْتُ..

سأعبر الطريق لأشترى سجائر..

نطقت الكلمات وأنا أوقف السيارة محنقا على جانب ذلك الطريق الصحراوى..

كنت أتشاجر بصورة مستمرة مع زوجتى منذ نصف ساعة.. اللعنة عليها وعلى الزواج وعلى كل شيء.. حقا لم يكن لى أن أتزوج والحمد لله أنه لايوجد أطفال، من السهل الآن أن أتركها وأنعم بحياتى!

مع وجود أطفال كنت سأضطر لقتلهما معا!

كنت أفكر فى ذلك وأنا أعبر الطريق، وفجأة شاهدت تلك الحافلة وهى تنقض على رجل كبير وتكاد تسحقه أمامى.. صوت صراخ العجلات، وبدا حتميا أن العجوز هالك لا محالة، لولا وجودى فى هذه اللحظة..

بدون وعى أو إرادة قفزت وجريت وحملته بعيدا عن مسار الحافلة بسرعة أدهشتنى أنا شخصيا وسط صراخ المارة والركاب.. الغريب أن العجوز لم يبد عليه التأثر، بل نظر لى نظرة عميقة..

نظرة سبرت أغوار روحى..

نظرة دلفت إلى قلبى مباشرة..

لثوان لم أدر بنفسى ولا بالعالم وأنا أحدق فى عينيه..

ثم تركنى وذهب فى هدوء وتركنى حائرا ضائعا مشتت الذهن والتفكير..

لم أشتر السجائر وإنما عدت للسيارة ، ودون كلمة مع السخيفة زوجتى أدرت المفتاح وانطلقت.. بالطبع أخذت زوجتى تثرثر عن قوتى وشجاعتى وأنا لا آبه.. لا أكترث..

لقد مس العجوز شيئا فى روحى.. لا أدرى ما حدث..

وصلنا للمنزل ليلا ولم أجد فى نفسى القدرة على الصعود للمنزل.. أشعر بالاختناق فعلا وأريد الجلوس فى الهواء الطلق وحدى.. تركت زوجتى تصعد لبيتها، وسرت خطوات قليلة إلى حيث ذلك المقهى القريب..

يمتاز هذا المقهى بأنه عتيق.. كل شئ فيه قديم، حتى زبائنه.. لذلك لاتجد فيه ذلك الصخب المعتاد للمقاهى وهو ما أحتاجه تماما الآن..

جلست على المقعد المتهالك أتابع المارة.. لاأدرى كم من الوقت جلست، إلى أن وجدته يجلس جوارى..

ذلك العجوز..

نظرت نحوه بمزيج غريب من المشاعر..

اندهاش..

قليل من الخوف..

الفضول..

النفور..

فترة صمت قليلة ثم سألنى سؤالا غريبا: أتدرى من أنا؟

قلت بعد ثوان: لا.. لا تبدو مألوفا..

قال لى: أنا الموت.. وجئت لأشكرك على إنقاذى من.. الموت..

هنا انفجرت ضاحكا.. ماهذه الخزعبلات؟

دمعت عيناى ضحكا، وأنا أنظر إليه.. لم تتبدل تعابير وجهه، ولا ملامحه، ولا جلسته.. وأكمل:

وكتعبير على امتنانى، فقد أعطيتك هدية.. أحسن استخدامها..

ثم اختفى من على مقعده بغتة !

انتفضت وتلفت حولى فى رعب.. لم أجد سوى رواد المقهى القليلين وكل مشغول فى حاله..

ما هذا بالضبط؟

ألم أقرأ هذه التيمة من قبل؟ ربما اسمها (مقدسات الموت)؟ لكن هذه الأمور لا تحدث فى الحقيقة!

لقد اختفى بالفعل واختنقت ضحكتى فى حلقى وحل مكانها صمت شارد يتطلع لأى منطق ممكن..

الموت؟

بنفسه؟

كيف هذا؟ و ما الموت أصلاً؟

من المفارقات أنى قرأت منذ قريب قصة سومرست موم (موعد فى سمارة) والتى تجسد فيها الموت.. الموت تجسد.. نعم.. الموت الذي حكى عنه سومرست موم في سمارة؟ هل أنا فقدت عقلى؟

بل.. لعله موت رولينج الذى نجا منه أبطالها الثلاث!

من رولينج هذه أصلا؟

هززت رأسى فى عنف وأنا أتساءل عن أى حماقة تنتابنى الآن.. ربما أنا أخوض هلوسة فحسب؟

الخوف هنا يثير ضربات قلبى، فبدأت أشعر به يزحف على ساعدى.. أنا أمر بموقف غير طبيعى!

هل هو شيطان يتلاعب بى؟

جنى؟

أم أنى ببساطة جننت؟

يبدو.. يبدو أن القراءة (لحست) عقلى كما تقول زوجتى دائما..

عدت أشرد..

أنا أجلس في مقهى واقعى جدًا بزبائنه كبار السن.. أخذت أتأمل فى الوجوه العجوزة الكالحة..

هذه وجوه نخرها الواقع كما فعل بأرواحهم، وأعتقد أن لن يختلف حالى عنهم بعد عمر طويل..

إن طال..

لاحظت أن أقرب هؤلاء الشيوخ يبادلنى النظر باسمًا بحنان جد يرمق حفيده، وعندما انتبهت قال لى بصوت يفيض حنانا:

- لو كنت مكانك.. لصدقته!

هكذا تكلم العجوز بثقة.. رد عليه لسانى ثقيلا رغمًا عنى قائلا:

-عن ماذا تتحدث؟

-عن الموت.. وهديته!

-.......................!

-لا تندهش كثيرًا.. جميعنا هنا مثله!

- و.. من أنت؟!

-انا (الفقر)..و هناك صاحب الجسد النحيل هذا هو (المرض).. أما النادل فهو (الألم) !

وضعت يدى على رأسى وأحسست أن الدنيا تدور بى.. هل هذا من تأثير نقص السجائر أم ماذا؟.. ثوان ثم قلت له:

-هكذا؟ لن أندهش.. لن أجادلك، لكن ماذا عن: (الفرح).. (الغنى).. (الصحة).. ماذا عن (الحياة)؟ أهذا المقهى للبلايا والمصائب فقط؟!

ضحك (الفقر) سعيدا بحيرتى و قال:

-هؤلاء.. لا يظهرون كثيرًا فى هذا الزمن يا بنى.. من الصعب أن تلقاهم !

أومأت برأسى فى تفهم..سأفيق من هذا الحوار لأجدهم يلفون حولى ذلك القميص الأبيض حتما.. قلت له بنبرة حاولت أن تكون متعقلة:

- متوقع.. لكنى ما زلت مشتتا، لا أدرى ماذا قدم لى (الموت).. هدية من (الموت) نفسه، ألا تثير الرهبة والخوف؟!

ابتسم فى غموض ثم قال وهو ينهض معلنا إنهاء النقاش:

- ستعرف فى الوقت المناسب!

* * * * *

– أين كنت حتى هذه الساعة؟

تسألنى زوجتى فى تبرم.. لم أعتد الكذب لكن بماذا أجيبها؟ كنت أتسامر مع (الفقر) بعدما قابلت (الموت) الذى أنقذت حياته؟

زوجتى.. المفترض أنى أعشقها أو على الأقل أحبها، لكنى فقدت هذا الشعور مع ما فقدت.. هل ينبغى أن أجدد مشاعرى؟ أن أعيد أواصر الحب المفقود؟

لحظة.. أهذا هو المغزى؟ أن أجد الحب و الصحة و الحياة؟

أن أحب زوجتي و أكف عن التدخين و أنجب ذرية صالحة؟
أهكذا يهدينى الموت لجادة صوابى بالترتيب؟

لا أحب هذا ولا أريده.. ما زال الواقع السخيف يفرض نفسه على حياتى التى لا أرغب أن تكون هكذا..

أرغب فى التجديد..

أن أعيش قليلا فى الخيال، أو أخوض مغامرة مثيرة! أى شىء يغير من نمط الحياة الممل و...

- لماذا أنت صامت؟ هل بك شىء؟

زوجتى المملة اللطيفة تسأل مجددًا و تقاطع شلال أفكارى، غير أن القلق ظهر فى صوتها..

أخذت أنظر إليها لا أدرى ماذا أقول..فمدت يديها الرقيقتين و أمسكت

بكتفى تهزنى برفق.. ارتاعت لنظرتى الخالية من أى تعبير.. ظللت صامتا أحدق فى عينيها فازداد هزها قوة و علا صراخها حتى أخرجتنى بصعوبة من غيبوبتى المستيقظة هذه!

بصوت مهتز سألتها سؤالا أدهشنى أنا شخصيا:

-هل.. هل تودين الطلاق؟

– الـ.. الـ.. طلاق؟

هل جننت أم ماذا أصابك؟

-لابد أن أطلقك.. نعم.. اليوم قابلت (الموت) و (الفقر) و (المرض).. قابلتهم و حدثتهم كما أحدثك الآن !

وقد ترك لى (الموت) هدية و لكنى لا أعرف عنها شيئا!

أنا جننت بالفعل ياحبيبتى، ولا أحب أن يكون زوجك و أبو أولادك مجنونًا..

لم تستوعب ما قلته من مرة واحدة، ظنت أني أمزح.. ربما جاء في ذهنها أني تعاطيت عقارا ما؟

ربما أنا تعاطيت شيئا بالفعل، فلا أحد يمر بهذا الذي أمر به الآن! وكأني

ملبوس بشيطان وجداني مثقف!

شرحت لها ماحدث بالتفصيل مرة بعد مرة حتى فهمت أخيرًا و أظهرت أنها اقتنعت.. لهجتي المرتعبة كانت خير دليل على صدقي..

كانت تومىء برأسها وتحرك حاجبيها بشكل مستمر، وعندما انتهيت من كلامي قالت لي في لهجة مزجت بين السخرية والإشفاق والحزن:

– أنت مجنون فعلا.. لكن لأنك صدّقت هؤلاء العجائز الحمقى، لا يوجد

شيء كهذا قط.. وهم يتسلون بك فقط أو على أقصى تقدير هم يخرفون.. سيان، أنت أنقذت الرجل ثم قابلته بالصدفة في المقهى ليلعب هذه التمثيلية مع زملائه.. كيف بالله عليك انطلت عليك هذه الخدعة؟!

كلماتها كانت بمثابة صندوق ماء بارد على رأسي..

فعلاً!

كيف تاه عن بالي التفسير الواضح الواقعي للأمر؟!، أنا الواقعي الذي ملّ العيش في الحقيقة، نسيت أن أضم الواقع لأحل هذا الموقف و كدت أجن !

ما من هدية !

ما من(موت) أو (فقر) أو سواهما..

هنا ارتاح بالى و احتضنت زوجتى بقوة.. هذه المرأة مثل شجر الدر التى أنقذت مصر، أو هى كليوباترا المضحية بحبها من أجل شعبها، هن أذكياء حين الحاجة فعلاً!

-لا تذهب إلى هذا المقهى ثانية!

-كما تحبين!

دار فى بالى تساؤل سريع عن كنه الطريقة التى اختفى بها (الموت) من أمامى، ثم طرحت الفكرة جانبا.

* * * * *

-إذن فأنت (الموت)؟ الذى أنقذته منذ شهرين؟

- أنا بعينه ! أحب الجلوس فى هذا المقهى بين الحين و الآخر!

-و لهذا فكرت في الجلوس معك ! لكن.. أين هديتك؟

سألته السؤال الأخير وأنا أرشف الشاى من أمامى، فأجابنى و هو يبدل من وضع ساقيه:

- ألم تكن زوجتك لطيفة ليلتها؟

-............ كيف عرفت؟

- كانت ستموت.. كنت ستقتلها و جنينها الذي لم يكمل الشهر في نوبة غضب.. لكنك لم تفعل بعدما قابلتنى.. تلك هديتى !

-.......... كيف عرفت أنى.. كانت أحاديث نفس فقط!

- تحسبني عجوزًا مخبولاً؟ مسكين أنت!

حسنا، يكفى هذا جدا.. بدون وعى نهضت من مقعدى، واتجهت نحو الشارع لأبحث سريعًا عن أكبر حجر ممكن لأضربه به حتى وجدته.. التقطه جازًا على أسناني بكل غيظ الدنيا، سأقتل العجوز الخرف..أو (الموت) الذى أنقذته من قبل، أين حدودى من الواقع و الخيال؟ أريد أرضًا ثابتة.. أبغى شيئًا واضح المعالم.. فلنر كيف ينزف (الموت) هذا! اتجهت سريعا نحو الطاولة التى لم تكن واضحة بسبب العامود الذى يتوسط مدخل القهوة، لكنه اختفى من جديد!

تلفت حولى أبحث عن الباقين.. ماذا عن (الفقر).. (المرض).. أى شخص منهم.. الشلة كلها اختفت!
هكذا ألقيت الحجر من يدى وأخذت أسير على غير هدى تاركا المقهى ولا أدرى ماذا افعل..

لحظة،هناك أمل أخير.. هل يريحني الواقع؟

هل أجد الخيال؟

و جاءتنى الإجابة وقتها على هيئة رسالة من زوجتى!

ارتعش فؤادى و ارتعشت معه يدى، و شعرت أن الحل قادم يقصدنى مع رنة الرسائل المميزة.. فتحت الرسالة وقرأت:

- حبيبى.. مبروك، ستصير أبًا بعد ستة أشهر!

تمت

* * * * *

أنهيتها سعيدا !

لم أكن متضايقا هذه المرة.. هذه قصة فلسفية عميقة ستثير خيال النقاد..

إنها قصة رائعة رغم كل شيء، ولا يعيبها إلا..

لن يقبل أحد أن ينشرها!

إنها ماتزال حوالى ألف وخمسمائة كلمة فحسب.. هل أفكارى نضبت أم ماذا؟

يبدو أن ذهنى اصبح مكدودا حقا.. أنا بحاجة للراحة حقا..

سأنام الآن وأفكر فى شيء آخر لاحقا..

ونمت.. لم يمر وقت طويل حتى استيقظت من نومى..

فتحت عينى مرهقا لأتأمل ما حولى..

لاشيء..

الحائط الكئيب.. السقف المشقق.. ألم صدرى..

هل أرى ألم صدرى؟

ثم.. لا أشعر بقدمى!

يقولون أن الروح تنسحب أولا من القدمين!

أرى أن ذلك صحيح.. قد يكون صحيحا!

لا لا.. أنا أموت؟ هذه أعراض الموت بلاشك..

لا إله إلا الله.. وأعود لغيبوبتى من جديد!

أفيق..

أستكمل عملية موتى! أدرك أنى أموت الآن..

ما السبب؟ لا أدرى.. وبعد عشر دقائق لن أهتم!

لكن.. لا أستطيع التنفس..

يالهذا الألم.. أحس أنى غارق فى بحيرة من العرق..

أتمنى الصياح.. الصراخ.. الآن يستولى الذعر على..

أدرك أنى أموت، فأفقد الوعى للحظات..

أفيق..

لا أستطيع تحريك أناملى.. ماتت أناملى!

أموت..

أولادى بالخارج.. أسمعهم يضحكون.. اغرورقت عيناى بالدموع.. لن أراهم مرة أخرى.. زوجتى.. كم ستوحشنى..

أتمنى ألا يدخل أحدهم فيرانى وأنا أموت..

سالت دموعى على الوسادة بينما يعتصر الألم صدرى..

أحاول الكلام؛ فيخرج منى مايشبه الغرغرة..

غرغرة؟ عاودنى الذعر.. الفزع..

أحاول التقلب.. الصراخ.. الحقونى.. أنا أموت! فلا يستجيب جسدى.. كل مايخرج منى أنين! صوت أشبه ببكاء قط رضيع أو كلب لم يسر بعد!

وأسمعهم بالخارج يضحكون، فأصدر أنينا أخيرا..

وأغمض عيناى للمرة الأخيرة، وأنا أجاهد لجذب نفسي الأخير..

ومع زفرتي استيقظت..

استيقظت على صوت زوجتي وهي تربت على رأسي وتمسح دموعي..

أنا عدت؟

أنا.. حي!

* * * * *

نهضت من نومي ألهث.. اللعنة على الكبدة المقلية وكل هذا الجمبري وقطع التورتة كلها!

يبدو أني بالغت نوعا ما في العشاء اليوم فأصابني كابوس عنيف..

نهضت من نومي متأملا كرشي.. يجب أن أخس قليلا وأتغلب على حبي للطعام..

يجب..

* * * * *

في اليوم التالي بدأت هذا الـ(دايت).. أول ثلاثة أحرف (داي) بمعنى الموت لو لاحظت، والحق يقال أنا اليوم أستطيع التنفس نوعا لأني معدتي فارغة فتسمح للهواء بالتحرك! يبدو أني آكل كثيرا بالفعل أو.. ربما أزيد قليلا من الطبيعي!

في ضيق عاودت الاتصال بـ(سالي مجدي) لنرى موضوع ترشح روايتها (كوكب آمون) للجائزة هذا.. أخذت أقنعها أنها رواية على قد

حالها وأنها يجب أن تتراجع وتفسح الطريق لى.. ليس من المنطقى أن يقبلوا امرأة كاتبة – طبعا هى رواية رائعة ولكن أنت تعلم غيرة الكتاب من بعضهم! – لابد أن أحبطها تلك الكاتبة.. ألا يكفى انها.. لا أدرى بالضبط!

ما علينا..

نقص الطعام يجعل أفكارى غريبة..

ونقية!

أنهيت حوارى معها وفتحت البريد الألكترونى.. رسائلى المخيفة كثيرة، والرعب هو البيت الذى أرتاح فيه، فلماذا اتجهت بعيدا؟

طوال العمر أعيش فى خوف ومغامرات مخيفة لا يمكن أن أحلم بنصف كوابيسها! من كتاب لعين وجدته فى مكتبة أبى لمغامرات حمقاء على الانترنت لدخول بيوت مسكونة!

أعترف أنى لا أخاف بسهولة، لكنى أعترف أيضا أنى (أتخض) بسهولة بالغة.. أخاف المفاجآت، وأخاف من زوجتى.. أخاف المديرة، لكن الوحوش والشياطين فهذه كائنات يمكننا التفاهم معها! منطقها بسيط .. هى تريد التهامك أو موتك أو الاستحواذ عليك فحسب، لكن بقية النساء.. لا يهم الآن، دعنا ننتقل للقصة المبهرة التالية..

* * * * *

كَلْبُ اَلْمَقَابِرِ

الساعة تجاوزت الواحدة ليلا..

أبى سيقتلنى!

قلت ذلك لنفسى وأنا أطلب من السائق التوقف جانبا..

نزلت مسرعا من الميكروباص وأنا أشعر بقلق بالغ..ما كان لى أن أتمادى فى السهر مع هؤلاء الرفاق، فنحن لم نشعر بأنفسنا إلا بعد الثانية عشر، ومع انتهاء اللعب والفوز بكأس العالم!

اللعنة. .سيقتلنى أبى حتما!

نظرت إلى الطريق الملتف الطويل الذى يجب أن أعبره لأصل إلى المنزل. .يمكننى أن آخذه جريا لكن الظلام مطبق فى هذه الساعة و حتما سأتعثر وأقع، كما أنه طريق طويل لايعبر الميكروباص منه وأنا فى أمس الحاجة للوقت.. وهاتفى.. هاتف حقير لا يحتمل شحنه ساعتين حتى يفصل، وأبى سيقتلنى.. سيظن أنى أغلقته عن عمد..

رباه أنا خائف منه هذه المرة حقا.. لقد أقسم أن يكسر ذراعى إن عدت للعب وترك المذاكرة ولم أعهده يحنث بقسمه قط.. لا بد أن أعود للمنزل سريعا ..

نظرت جوارى إلى الشارع الساكن فى الظلام. .

طريق مختصر يغرينى بدخوله مع وجود مصباحين قويين يضيئان

الشارع بأكمله ..

لكنه..

شارع المقابر القديم!

كنت أخشى هذا الشارع جدا. .تناثرت حوله حكايات مخيفة منذ أمد

بعيد، أعرف أن معظمها خيالى لكن لابد أن بعضها حقيقى بشكل ما..

ترددت لثوان، لكن يد أبى الغيظة أقوى تأثيرا من الأشباح والشياطين. .

توكلت على الله ودخلت الشارع. .خطوة تجر خطوة..

قلبى ينبض بعنف، أشعر بفزع شديد..

خوفى من أبى، وخوفى من شارع شواهد القبور هذا يؤلمان قلبى
بالرعب.. أو يرعبان قلبى بألم!

يجب أن أستحث الخطى قليلا. .

الشارع صامت تماما. .لا صوت إلا وقع أقدامى على الحصى، وصوت

لهاثى وأنا أسير. .أرغب فى أن أعدو لكنى لا أجرؤ..

ثم فجأة لمحته على يسارى!

يا الله، ماهذا؟ ما هذا؟

كان قلبي على وشك إعلان حالة الطوارىء عندما وثب هذا الكلب
الأحمق أمامى من جهة اليسار، اللعنة!

كم أكره الكلاب الحمقاء خصوصا إذا كانت تسكن المقابر..

نظرت نحوه وقد أثار فزعى أنه لا ينبح.. صامت متجمد متخشب لا

يحرك ساكنا ولا يبد منه ما ينم على أنه حى أصلا!

إنه فقط يرمقني بنظرة لم أكن أتخيل أنها قد تصدر عن كلب، كان يبدو كباقى الكلاب الأخرى ماعدا خصلة بيضاء قد نبتت فى مقدمة رأسه،

لكنها تبدو على شكل خط طويل أعطاه منظرا مميزا..

مع التدقيق كان صدره يعلو وينخفض ببطء مريب يدل على أنه حى وليس تمثالا مثلا مع ثباته هذا، لكنى أدركت بفطرتى أنه لا يمت إلى

فصيلة الثدييات بأى شكل من الأشكال!

ليس كلبا لو تفهم قصدى!

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. لماذا دخلت لهذا الشارع..

تبادلنا نظرات واجمة ساهمة وأنا أحاول أن أسيطر على خفقان قلبى

المدوى لكن دون طائل، كذلك كان عقلى يصرخ داخل جمجمتى:

اركض.. اهرب.. ابتعد من هنا..

حاولت أن أنتزع شجاعتى من فم الخوف، لكن سرعان ما تبددت عندما تقهقر الكلب وصدر منه أنين كأنه يتألم، ثم ركض تجاه المقابر بسرعة

تعدت سرعة الضوء مثيرا خلفه سحابا خفيفا من التراب!

لم أر مثل ذلك فى حياتى من قبل.. لكن ما الذى أثار ذعره؟ استعاذتى؟

المهم أنى تنفست الصعداء وأخذت أستعيد شجاعتى قليلا ثم اتجهت نحو الطرف الآخر من الشارع وأنا أشيح بوجهى عن شواهد القبور وأنظر

تجاه منتصف الطريق قدر ما استطعت.. لم تمض ثوان إلا وقد التهم

الخوف شجاعتى المزيفة – ربما لآخر مرة – عندما لاحظت أن الإضاءة التى تنبعث من المصباحين ترتعش بشدة كأن التيار الكهربائى يتذبذب هنا.. مثل أفلام الرعب تماما!

إنها تتذبذب.. إضاءتها تتلاشى وتنخفض تدريجيا حتى أصبح الشارع

كله يستقر فى ظلام حالك! وأنا معه فى منتصفه وتحت رحمة من هنا! لم يكن شيئا قد خرج عن المألوف فى هذا المشهد الذى اعتدت أن أراه فى أفلام الرعب الرخيصة والمتقنة.. الفرق فقط أنى الآن البطل..

لا شك فى ذلك..

لعنت كل الظروف التى جعلتنى أقف هنا بداية من يد أبى الغليظة وأصدقائى والميكروباص وكل شىء!

شعرت بتلاشى كل الموجودات من حولى مع تلاشى الضوء، واستسلمت لحقيقة أنى على بعد مترين فقط من المقابر وحدى فى قلب الليل!

وساد صمت مطبق..

لا أسمع سوى صوت تخثر الدم فى عروقى نتيجة الخوف، واضطراب دورتى الدموية ونفسى العالى و..

حاولت أن أستمر فى المشى لكنى تذكرت أن الهاتف ما يزال فى جيبى، أخرجته آملا فى أن يعمل ويستيقظ مرة أخرى وأهتدى بنور الفلاش الساطع..

ظللت ثوان أحاول.. الحمد لله لقد عمل.. صديقى قال لى ذات مرة أنه عيب بطارية.. سأرى هذا الأمر لاحقا!

ولكن..

لكم تمنيت أن يرتعش ضوء الفلاش أيضا!

ارتجفت وأنا أنظر للسرب الذى أمامى.. قطيع من الكلاب!

كم أكره الكلاب اللعينة ذات الخصلات البيضاء التى تسكن المقابر، والتى تهرب لتأتى بسرب من الكلاب الأخرى!

تمت

* * * * *

أنهيت القصة بسرعة..

هذه نهاية مفتوحة تثير شغف القارىء، وربما أثارت فضوله والبعض يثير حفيظته..
كنت قرأت قديما عن قصة اجتاحت العالم.. لا أذكر اسمها، أعتقد اسمها الموت القرمزى، حيث تدور أحداثها فى المستقبل حيث حروب الفضاء الجبارة.. قرصان اقتنص سفينة فضاء وقتل الطاقم باستخدام الفطريات القرمزية المروعة التى تقتل بشكل فائق البشاعة ، ويرى القبطان طاقمه يموتون بهذا المرض المروع .. يرى خيوطا تنفجر من عيونهم وأفواههم وآذانهم!
ثم فى النهاية يلقيه القرصان على كوكب مهجور أمام صندوقين، أحدهما فيه زوجته وأمامها ساعة قبل أن تموت مختنقة، والآخر فيه الموت القرمزى.. وبينما يقف محتارا لا يدرى أى الصندوقين يفتح، يسمع طرقة خفيفة من أحد الصندوقين، فتزداد حيرته.. أهى زوجته

المحبوسة أم هى خدعة من القرصان ليفتح الصندوق الخاطىء؟ ويتقدم لفتح أحد الصندوقين..
وهنا تنتهى الرواية لتتركك فى ألعن حالة من التوتر والتفكير!
ماذا حدث له؟ هل مات؟ هل عاش سعيدا هو وزوجته؟ هل زوجته أصلا ليست فى الصندوقين؟ الاحتمالات لا نهائية كما ترى..
النهاية فى قصتى هنا قد تكون واضحة بلا حيرة، وهى أن البطل مات، لكن من الذى يحكى إذن؟
لا أعرف الحقيقة!

لقد قرأت آلاف القصص من هذا المنوال واستمتعت بها أيما استمتاع..
أحب القصة التى تنتهى بشىء يجعل العقل يعمل ويثير الخيال كما قلت، ولكن.. ليست هذه المقدمة المناسبة للرواية لأن هناك حكاية أحلى وأقوى حدثت بالفعل منذ زمن قريب أثناء ثورة يناير، ثم لعب الخيال دورا رائعا فيها..

سأكتبها ولتكونن رواية مذهلة، أو هكذا أتمنى!

لكن أنا جاااااائع ولم آكل منذ ساعتين كاملتين! لماذا أقوم بهذا الدايت؟

أنا فيه منذ الصباح ولابد أنى خسرت وزنا مناسبا.. يكفى هذا القدر!

اللعنة على هذا الدايت!

أنا أصلا تزوجت ولن أتزوج مرة أخرى، هى قد تدبست فىّ للأبد سواء كنت بدينا أو نحيفا ولا يهم شكلى الآن، هل أتوقف عن الدايت؟
ساعتان كاملتان دون طعام وقت كاف جدا و..

لا.. لن أفكر فى الطعام.. سأكتب..

* * * * *

اَلْقِنِّيْنَةُ !

أخذت أعدو بكل ما أملك من سرعة. .

لو أمسكونى فـ..

لن أفكر فى ذلك. .

هناك نافذة أمامى. .

صحيح أنى فى الطابق الثانى، لكن لا بأس. .هناك شجرة تحت النافذة. .

اقتحمت النافذة بكل قوة محطما الزجاج. .

ياللضربة. .

لكن لم أشعر بالألم بقوة كما كنت أتوقع..

كنت أحتضن غنيمتى بكل قوة حتى لا تفلت منى. .وبذراعى الآخر

حاولت التعلق بأى غصن من أغصان هذه الشجرة..

لكنى سقطت. .

سقطت سقطة عنيفة على الأعشاب الكثيفة فى حديقة المتحف. .رفعت

نظرى للأعلى، فوجدت أحد أفراد الأمن يشير نحوى صارخا. .

يجب أن أنهض..

القوات على وصول. .

بقية اللصوص يهربون من الباب الأمامى.. حسنا هذا جيد..سينشغلون

بهم ويتركونى وشأنى قليلا!

سأقفز من فوق هذا السور.. سأعتلى هذا الجزء ومنه إلى الحرية..لكن أحدهم يرانى وأنا أقفز. .اللعنة. .ربما يأتى ورائى. .وهذا سيجذب عددا أكبر من القوات..

سقطت فى الشارع خلف السور الكبير.. عظامى كلها تؤلمنى لكن الآن يجب أن أنهض وأجرى. .سأجرى كما لم أجر من قبل، وسأختلط بالحشود الغفيرة بالخارج. .

أخذت أجرى وألهث وألهث وأجرى. .

قفزة لأتعلق بحاجز حجرى، ثم نزلت فى الناحية الأخرى..

كان قلبى يدق بكل قوة. .وفرحة. .

لقد سرقت قنينة ذهبية من المتحف المصرى. .

* * * * *

ما حدث هو أنى كنت فى ميدان التحرير وقت هذه الثورة. .ذهبت مع أصدقائى لنرى ما هناك من قبيل الفضول وتزجية الوقت على الرغم من معارضة والدى. .نزلنا فى وسط المدينة وتمشينا حتى قرب المتحف فى ميدان التحرير، وهناك فوجئنا ببعض الحشود يقتحمون المتحف المصرى. .جريت مع أصدقائى داخلين المتحف لنرى تطور الأحداث.. فقط..

مجرد قطط فضولية ترى ماذا هناك، ثم أصبحت فى قلب المتحف. .

القوات داخل المتحف قادمة فى المواجهة..

عيون الجنود تحمل نظرة الموت. .

الأوامر: " القتل " !

لا بد أن أهرب. .

بدأت أجرى وأراوغهم، بينما أسمعهم ينقضون على المعتدين ورائى بالعصا الغليظة..

صوت العصا وهو يحطم العظام! صوت بشع جدير بالكوابيس!

لحسن الحظ أنهم لم يطلقوا النار هنا. .يبدو أنهم يخافون على الآثار. .

جريت بسرعة إلى أن أصبحت وحدى تقريبا. .

وقفت برهة لألتقط أنفاسى. .انحنيت ممسكا ركبتى، لألتقط الهواء فى

جشع، وأرمق قطرات العرق وهى تتساقط على أرضية المتحف. .

رفعت نظرى لأتفقد الأحوال مع أصوات الناس الذين يقتلون بعضهم فى الخارج..

وهنا رأيتها. .

قنينة ذهبية صغيرة تلمع وسط القاعة..

أحسست وكأن كل شىء حولى اختفى إلا هذه القنينة فحسب!

تحول الوجود إلى قنينة ذهبية. .فقط..

يجب أن أحصل عليها..

تقدمت نحوها خطوتين بانبهار. .ولم أفكر كثيرا. .

أو لم أعد أفكر..

كانت معروضة داخل إطار زجاجى مربع. .
تلفت حولى باحثا عن شىء يصلح لكسر الزجاج، فوجدت حجرا فرعونيا ثقيلا فى الجوار. .حملته بصعوبة، ثم ألقيته بكل قوة على الإطار الزجاجى و..

كررااااااااااش..

تحطم الزجاج السميك بصوت مرتفع. .مددت يدى بسرعة لأخطف غنيمتى وأهرب، خاصة وأن صوت التحطم أصاب القوات القريبة بالجنون. .

سيأتون حتما. .

وبدأت أعاود الهرب. .وقفزت من النافذة الخلفية كما قلت منذ قليل..

واختلطت بالجموع الغفيرة بالخارج..

لقد أصبحت القنينة ملكى. .ملكى أنا وحدى. .

ومن داخلى ارتفعت ضحكة عالية. .يالحظى السعيد. .هذه نقلة لحياتى بلا شك. .

ربما كانت هذه القطعة تساوى الملايين. .
فقط يجب أن أذهب للمنزل، وهناك أفكر بهدوء كيف يمكننى التصرف فيها..
وأصدقائى؟
لقد نسيتهم فى غمرة الأحداث !

* * * * *

دخلت لحجرتى مرهقا سعيدا بغنيمتى. احتضننى أبى وأمى باكيين يحمدان الله على عودتى سالما. لقد شاهدا الأحداث الدموية فى المنزل منذ قليل و كانا يرتجفان فزعا، خاصة مع انقطاع الاتصالات..

سألانى عن أصدقائى. قلت كاذبا أنهم عادوا لمنازلهم..

فى الحقيقة أنا لا أعرف عنهم أى شئ من بعد دخولى للمتحف ولم أستطع حتى الاطمئنان عليهم تليفونيا. لعنة الله على شركات الاتصالات التى قطعت خدماتها فى ذلك الوقت.

وحينما أصبحت وحدى أخذت أتأمل القنينة..

قنينة ذهبية جميلة، تشبه الأوعية الكانوبية نوعا. وعلى جانبها رسم شديد الإتقان لرجل فرعونى مفتول العضلات يحمل وجه حيوان ما..

يبدو أنه حورس أو ست أو إخناتون حتى. لا أعرف شيئا عن تاريخ هؤلاء المصريين القدماء..

أخذت أقلبها فى يدى. كانت خفيفة نوعا ..تبدو مصنوعة من الذهب..

ترى ما الذى بداخلها؟

أخذت أهزها. لا شيء!

أو..

هناك شيء ما لكنه ليس صلبا. ليس مجوهرات مثلا. كانت القنينة عندما أهزها تعطينى إحساسا بأن داخلها غاز ثقيل.. شيء ما أخف من

الماء يتحرك بانسيابية ونعومة.. كأنها بها إسفنجة مبللة بقليل من الماء.

تأملت غطاءها قليلا. يبدو سهل الفتح نوعا، إذ أنه مجرد غطاء معدنى يشبه غطاء زجاجات المياه الغازية إلى حد ما. هل لم يجرب أحد فتحها منذ اكتشاف وجودها إلى الآن؟

غريب..

هل سينفتح أصلا إذا ما حاولت فتحه؟

فلأجرب.. العجيب أنه انفتح بسلاسة شديدة ما أن حاولت ودون أدنى مشقة.. انفتحت القنينة بسلاسة ونعومة وكأنها مصنوعة لتوها. .

وليتنى ما فتحتها..

لماذا؟

ستعرف حالا..

ما أن انفتح الغطاء حتى دوى صوت انفجار محدود، وطارت القنينة من يدى فى الهواء ليخرج منها دخان أسود كثيف. .

تجمع الدخان بسرعة أمام عيونى المذهولة فى منتصف الحجرة. وتكون شكل رجل مفتول العضلات ذو رأس حيوان. .

أين رأيته؟

بالطبع..

إنه الرجل المرسوم على القنينة!

سقطت على ظهرى من الرعب، بينما وقف هو فاردا قامته القوية..رافعا رأسه للأعلى فى شموخ..

كان منظره رهيبا. .مفزعا..

أخذ يدير رأسه ذا العينين الحمراوين يتفقد المكان. .

هناك صوت حسيس يدوى فى الحجرة. .

حسيس يقول:

ست..

ست..

ست..

ست..

ست..

كنت واقعا على الأرض أرتجف..

ماهذا؟ شيطان فرعونى؟
لعنة الفراعنة؟ هل سيقتلنى؟

انتهى الدخان واكتمل تجسده أمامى..

هائلا.. مخيفا.. يثير الفزع بوجود مقبض كئيب..

أنا وهو وحدنا فى الحجرة. .

وساد الصمت..

صمت مطبق. .

والآن..

نظرته الرهيبة مثبتة تماما نحوى. .

لا أستطيع التحرك. .

رباه. .ماذا أفعل؟

لكن. .لحظة! هل هذا الشيء (جنى المصباح)؟
هل يمكننى استخدامه لتحقيق رغباتى؟
هل هو متجمد هكذا بانتظار أوامرى؟

عند هذه النقطة بدأت أعتدل فى جلستى..لن أخسر شيئا إن جربت على كل حال.. ربما.. ربما..

□أ□لت وقفته الوقة وجسده العارى إلا من إزار يستر وسطه.. كان جسده أسودا لامعا مفتول العضلات بشدة ورأسه تثير الرهبة، بينما تجول عيناه الحمراوان فى الحجرة..

ست..

ست..

ست..

بصوت يبدو قادما من أعماق قبر تكلم..

لم أفهم شيئا..

وفجأة صدمنى كلامه فى عقلى.. نعم.. تكلم داخل عقلى مصيبنى بصداع وغثيان شديدين..

- أين أنا؟

بصوت مرتجف أجبته أنه فى بيتى..

رفع رأسه فى استكبار وسألنى بطريقته العقلية المؤلمة:

- وأين بيتك هذا؟

أجبته مرتجفا:

- فى حدائق القبة..

ثم تمالكت نفسى وسألته:

- هل يمكننى أن أطلب منك طلبا أو أكثر؟

ما أن أنهيت كلماتى حتى نظر نحوى نظرة لم أنسها طيلة حياتى.. نيران منبثقة من عينيه وبلزوجة منبثقة داخل عقلى سألنى:

- تطلب منى.. أنا؟

ارتجفت.. اللعنة.. ماذا فعلت بنفسى؟

انتبهت على صوت ضجيج بالخارج.. أبى يتحدث بصوت عال وأمى تصرخ وصوت أشياء تتكسر.. لم أجروء على الخروج.. فجأة انكسر الباب وظهر من ورائه عدد من قوات الأمن.. لأول وهلة نظروا نحوى بينما دلف ثلاثة من الجنود دون أن يلمحوا هذا الكيان بادىء الأمر..

وكان هذا خطأ..

فتح فمه على اتساعه مطلقا زمجرة رهيبة، وانقض عليهم ينتزع قلوبهم مباشرة وكأنما أجسادهم قوالب زبد..

و..

التهمها!

صرخ الباقون فى ذعر، وفتحوا نيرانهم على الكيان..
أمى تبدو فاقدة الوعى، وأبى يصرخ موجها حديثه لى ويشير بيده أن أذهب إليه..

ببطء خرج إليهم الكيان.. وفجأة برقت المعلومة فى ذهنى:

ست..

إله الشر عند قدماء المصريين !
يسير فى صالة منزلى مواجها القوات المصرية التى أتت للقبض على باعتبارى لص آثار محترف بعد اقتحامى للمتحف المصرى، وهو

يواجههم ويلتهم قلوبهم !
عند هذه النقطة ضحكت وضحكت بينما يتناهى لأذنى صوت المساكين

الذين يتم انتزاع قلوبهم بالخارج.. ومن ضمن ما رأيت..

أبى..

ساقطا على وجهه..

نظرة جامدة على عينيه..

لاااااااااااااااااا

تجمدت للحظات مكانى وانهمرت من عينى الدموع..

لم أجروء على التحرك، أو ربما أصابتنى صدمة عصبية.

لا أدرى..

ظللت جالسا فى مكانى للحظات، بينما دلف إله الشر هذا إلى عقلى!

نعم.. وجدته يجول فى عقلى بطريقته المقيتة مرة أخرى..

يبحث ويفتش فى أركن عقلى، بينما أمسكت رأسى وأخذت أصرخ من الألم.. أحسست بسائل ينزل من أنفى..

دم..

وبدأ يتكلم.. شكرنى على القرابين، وشكرنى على إعادته للحياة !

وأخبرنى أنه سيتكرم على بأمنية !

أمنية؟

أتمنى.. أتمنى لو لم أذهب للمتحف قط..

مهلا.. تلك أمنيتى بالفعل.. ألّا يحدث شىء من كل هذا..

رفعت عينىّ نحوه وقلت:

- أتمنى.. وأرجو.. أن تعيدنى بالزمن للأمس فقط..

أومأ الوحش المتجسد هذا برأسه وقال:

- لك هذا..

واختفى! لا أفهم! ماذا سيحدث؟ هل سأعود أم أنه يخدعنى ويتلاعب بى؟!

ماذا أفعل؟

بحركة ميكانيكية نهضت وتمددت على فراشى جوار إحدى الجثث

وبكيت.. أمسكت هاتفى وبدأت أكتب كل ماحدث.. لو لم أعد لزمنى

فسأقتل نفسى.. أبى مات وأمى لابد أنها ماتت.. لن أتحمل الحياة وحدى،

ثم فقدت الوعى!

* * * * *

استيقظت من نومى على فراشى شاعرا بالنشاط والحيوية.. الغريبة أن هاتفى على صدرى وأنا تركته بالأمس فى الشاحن !

لست أدرى لماذا أشعر بوجود فجوة فى ذاكرتى.. آخر ما أذكره أنى نمت أقرأ، فلماذا استيقظت وبيدى الهاتف؟

غريب..

نهضت من نومى، وخرجت ألقى التحية على أبواى الذان يتابعان أخبار ميدان التحرير بنهم.. من المفترض أنى سأذهب اليوم مع أصدقائى للميدان من قبيل الفضول..

أبى وأمى معترضان.. ولكنى فضولى..

سأذهب.

تمت

* * * * *

لحظات من الصمت بعدما أنهيت هذه القصة.. ليست رواية هى الأخرى.. المشكلة أنى من الناس الذين يستقون قصصهم من الواقع فعلا، وغالبا ما أسرد وقائع تشكلت فى رأسى كما هى بعدما أضيف لها الخيال اللازم.. بمعنى آخر متضاد مع ما سبق من كلامى: أنا ابدأ القصة ولا أعرف كيف ستنتهى.. أتابع الكتابة بشغف شديد وأتشوق لمعرفة ما سوف يحدث.. أى أنى أتفاجأ بالنهاية فعلا !

ربما أنا مريض نفسى؟

ربما..

أخذت احدق فى كلمة (تمت) على الشاشة وأنا أشعر بشعور عجيب..

فراااااااااااااااااااغ..

الأفكار تتصارع فى رأسى ولكن.. لا توجد فكرة رواية طويلة..

أنا.. يبدو أنى..

لا أعرف لماذا تبدو الحياة قاتمة بهذه الصورة.. هذا (الدايت) اللعين يبدو أنه يؤثر على عقلى بشكل ما.. أريد أن.. تورتة غارقة فى الكريمة أو.. (تشيز-كيك) غارق فى كل هذه الدسامة أو.. قطعة جاتوه وقطعة ميلفيه أو.. بضع شوكولاتات وآيس كريم.. أنا بائس حقا!

سأتوقف عن الكتابة الآن لأن هناك اجتماع لرابطة الأدباء ويجب أن أحضره!

* * * * *

كان الاجتماع مبهرا حقا.. حيث تكلمنا فى أشياء كثيرة مهمة.. لا تسألنى ماهى من فضلك، فهذه الأشياء المهمة لا بد أن من قالوها أناس مهمون حقا.. و..

سأخبرك سرا.. يوما ما قال (رفعت اسماعيل) كلاما هذا معناه:

- "أنا طفل كبير، ويوم أموت سأشعر بأنى طفل يموت فحسب.. "

هذا جزء لا يتجزأ من شخصيتى.. اعتراف ليس هذا وقته ولا أعرف لماذا أقوله!

المهم، أن ذهابى للاجتماع وسماعى لـ(الكبار) يتحدثون كان أمرا شديد الإثارة والإمتاع.. أن تكون جزءا من أمر هام يتحدث الجميع فيه بأهمية وخطورة عن اشياء كثيرة..

ياللروعة..

انتهى اللقاء الممتع مع الكثير من الصور، ثم تناولنا شيئا من الطعام..

عدس ودجاج على حساب د. محمود صلاح.. ليلة ممتعة بعيدا عن الدايت، ثم عدت لمنزلى قرب منتصف الليل مستعدا لخوض معركة كتابية أخرى..

أخذت أتصفح القصص والرسائل الواردة لى، حين هاجمتنى هذه الأحداث بغتة وكأنها صدمت عقلى بعنف، حتى أن عينى اتسعتا وأخذت ألهث فى عنف وأنا فى التاكسي.. لابد أن السائق ظن أنى مخمور أو متعاطى شيئا.. أنا كاتب يا أحمق.. أنا عبقرى مبدع وجوارك الآن تتم

عبقرية وإبداع.. يوما ما ستقول أنى كنت أجلس جوارك، وستحكى لأصدقائك كيف أنى مدمن حشيش وبانجو ومسكرات! لابد من إضافة (التاتش المصرى)!

المهم، دلفت للمنزل وسرعان ما صعدت بشغف شديد، وكانت زوجتى عند الجيران والبنات نائمات.. إنه يوم سعد..

أخيرا.. رواية من طراز خاص.. رواية لم يسبق لأحد فعلا الكتابة بمثل أسلوبها فى الأدب العربى..

أرى المجد ينادينى، ولكنى سأتكبر عليه!

* * * * *

شَىْءٌ غَيْرُ مَفْهُوْمٍ يَحْدُثُ

اليوم الأول:

شعر (محسن) ببعض الألم فى صدره، سرعان ما زال سريعا.. والغريب أن كل من يعيشون بالقاهرة وضواحيها شعروا بنفس الألم المضنى السريع..

تكرر هذا الموضوع على مدى الثلاثة أيام التالية فى أنحاء البلاد لكن لم يتحدث أحد قط فى مصر عن ذلك الألم.. بعض الناس ظنوه بردا وبعضهم ظنوه بوادر أزمة قلبية، وآخرون لم يعيروه اهتماما من أساسه، لكن كل شىء سار على ما يرام لاحقا..

* * * * *

اليوم السابع:

وكالات الأنباء العالمية تتحدث عن (الوخزة).. تلك الوخزة العجيبة التى شعر بها سكان الكرة الأرضية كلها لمرة واحدة فقط وخلال ثلاثة أيام متتالية.. يتساءلون عن سرها وما أضرارها.. يستضيفون أطباءا

يضعون تفاسيرا عديدة.. منهم من يطمئن الناس، ومنهم من يضع قائمة أمراض لا علاج لها إلا فى عيادته الخاصة كما تعلمون، وفى مصر نشط أولئك الذين يعالجون مثل هذه الحالات بالبخور والشيخ فلان والشيخة علانة.. و(محسن) يتابع كل ذلك بلا اكتراث حقيقى.. لديه مشاغل أهم..

* * * * *

اليوم الثالث عشر:

شعر (محسن) فجأة أنه لا يستطيع التنفس بشكل سليم.. كان جالسا على مكتبه حين أخذ يسعل جاهدا ليأخذ نفسه وبدأ يشعر بوعيه ينسحب.. ظل يجاهد ليلتقط أنفاسه، وفجأة عاد ليتنفس بصورة منتظمة طبيعية! وحوله شعر الكل من موظفين وعمال بنفس الحالة الغريبة، وهذه المرة كانت الوفيات تقدر بمئات الآلاف حول العالم.. الأطفال وكبار السن شكلوا الغالبية العظمى من المتوفين لكن انتهى الأمر سريعا..

الكل يقدمون على التحاليل، لكن لاشيء واضح.. هناك أخبار أنه فيروس جديد منتشر فى كل العالم وفى نفس الوقت!

حسنا.. من الذى يهاجم من؟

* * * * *

<u>اليوم الثلاثون:</u>

جلس (محسن) فى شرفة داره يرشف الشاى الساخن، وفجأة شعر بلسعة الشمس وكأنما تحرق جلده.. نهض من مكانه ودخل لأقرب مرآة وهو متعجب ليرى ما هناك.. حينما نظر للمرآة شعر بالفزع.. وجد وجها آخر ينظر له عبر المرآة.. طفح جلدى رهيب حول وجهه إلى لون أحمر بالكامل وكأنما احترق لتوه، والمخيف أن الطفح ينتشر فى جسده ببطء.. ينتشر بشكل مرئى وكأنما يسير تحت جلده.. التعب العنيف يهاجمه الآن فلم يستطع الوقوف على قدميه، فجر نفسه جرا إلى حجرة نومه ليغيب هناك عن الوعى..

* * * * *

اليوم الحادى والثلاثون:

الهلاوس.. بدأ (محسن) يهلوس بشدة، ولا يذكر شيئا عن هلوساته القديمة لأنه يعيش هلوسات جديدة فى كل ثانية.. ومن نافلة القول أن الحالة منتشرة عبر أرجاء العالم.. الكل مصابون بالطفح والغالبية يهلوسون.. العلماء المتخصصون المنعزلون فقط هم الذين لايصيبهم شىء مما يحدث لكنهم لا يفهمون شيئا! فقط اكتشفوا أن منع المريض من استنشاق ثانى أكسيد الكربون يوقف الهلوسة..

* * * * *

اليوم الأربعون:

العالم فى حالة انهيار تام.. كل شىء متوقف.. توقفت الهلوسة منذ أيام، لكن الإقبال على شراء المضادات الحيوية أصبح تاريخيا مع أنها لا تفعل شيئا تقريبا.. الكل خائف.. الكل فى منزله.. الكل مريض جدا ولا يفهم السبب.. و(محسن) نائم فى سريره يرتجف..

الأعراض اختلفت ولم تعد موحدة على مستوى العالم.. بعض الناس يشعرون بالحر الشديد.. والآخرون يشعرون بالبرد الشديد وفى الحالتين لا تجدى أدوية البرد..

* * * * *

اليوم الثالث والأربعون:

(محسن) جالس فى منزله يرتشف شيئا ما ويتابع الأحداث العالمية..

المساجد مليئة بالمصلين..

الكنائس مليئة بالمصلين..

معابد اليهود..

الكل يبتهل.. حوداث الانتحار بلغت رقما قياسيا.. والأعراض تتوالى.. آلام شنيعة فى العظام ثم تتوقف.. إسهال رهيب ثم يتوقف.. صداع مؤلم ثم يتوقف.. الغريب أن الأعراض عادت تصيب سكان الكوكب مرة واحدة بفارق أيام ثم تتوقف بنفس بفارق الأيام وتتغير.. لم يأت قط عرضان معا.. الجوع ينتشر بعد أن هجر الجميع أعمالهم إلا قليلا، والهجوم على محال البقالة على أشده..

انهيار البورصات..

لا أمن..

لا شرطة..

كل شيء انهار..

والعلماء يدلون بدلوهم..

* * * * *

<u>اليوم الواحد و الخمسون :</u>

طبيب مصرى يكتشف ما يبدو أنه طرف للخيط أخيرا.. كان يقود فريقا من العلماء فى أطلنطا الأمريكية من مختلف التخصصات ويعملون على قدم وساق منذ بداية الأعراض تقريبا.. التقارير التى توصل إليها من العينات التى لديه هى وجود مايشبه العدوى الفيروسية لكنه تتحرك داخل الجسم بطريقة منظمة.. كأنها مجموعة تهاجم عضوا بعينه وتتركز عنده وتتفادى الأجسام المضادة للعينات بحرفية ودقة!

والمطلوب: عينات بشرية للدراسة.. من كل دول العالم.. النداء منتشر على كافة شاشات التلفاز ومواقع التواصل الاجتماعى.. وبشكل ما كان لديه معلومة مفيدة..

* * * * *

<u>اليوم الخامس والخمسون:</u>

(محسن) ضمن العينة المصرية التى يجرى عليها البحث.. يطلب لقاء قائد الفريق العلمى المنوط به فحص الحالات.. العلماء من حوله يبدون كرائدى الفضاء بملابسهم السميكة وخوذاتهم العملاقة..

بعد فترة يأتيه قائد الفريق.. يخبره (محسن) أنهم الآن يتعرضون لغزو فضائى.. وأنه يفهم ما الذى يحدث!

ماذا؟ أى تخريف هذا؟

ومع ذلك (وعلى سبيل الملل) يطلب منه قائد الفريق العلمى أن يتكلم..

يخبره (محسن) أن هناك كائنات دقيقة شبه فيروسية تنتقل عبر المجرات

ولا تتأثر بالبرودة أو الحرارة ويمكنها البقاء للآلاف السنين.. هذه الكائنات وصلت الكوكب على شكل سحابة غير مرئية واحتلوا الأجساد..

وما حدث للجنس البشرى هو مجرد إعلان قوة لما يمكن أن يفعلوه..

وليس لديهم مطالب إلا الحياة فى جزء منعزل من العالم مع مجموعة من البشر باختيارهم كأجساد مضيفة، وإلا فهو الفناء..

هز قائد المجموعة رأسه وهو ينهض ويشير بكتابة الجنون من ضمن الأعراض..

* * * * *

<u>اليوم السابع والخمسون:</u>

أكثر من مليون شخص حول العالم يبلغون نفس الرسالة ونفس الكلمات..

بدا واضحا جليا أن الموضوع لا جنون فيه!

الأرض تتعرض لغزو فضائى فيروسى مخيف.. وكإثبات قوة غزا العالم الصمم!

ثلاثة ايام كاملة لا أحد يسمع شيئا على الإطلاق.. وعندما عاد للجميع أسماعهم كانت أول كلمة هى: استسلموا!

* * * * *

<u>اليوم الستون:</u>

الكل استسلم..

اتفقت الدول على تسليم الأفاقين والنصابين والمجرمين للفيروسات الذكية.. سيقدمون للفيروسات قرابين بشرية!

وفى المقابل تراجعت الأعراض واختفت تماما من العالم.. المكان الذى تم الاتفاق على التجمع فيه كان منتصف غابات أفريقيا.. قرار دولى كى تحمى الدول الكبرى أنفسها قدر المستطاع.. وقد كان..

* * * * *

<u>اليوم السبعون:</u>

انتهى نقل البشر تماما إلى منتصف القارة حيث سيرضخون لحكم الفيروسات الذكية..

أما (محسن) فقد اكتسب شهرة عالمية باعتباره أول من أبلغ عن هؤلاء الغزاة، وأصبح ينتقل من برنامج لبرنامج ومن قناة لقناة.. رويدا رويدا بدا للعالم أن كل شيء انتهى، وعادت الحياة لسابق عهدها.. الحكومات تكونت والشوارع امتلأت بالسيارات من جديد وعادت البورصة للعمل..

* * * * *

<u>اليوم السابع والسبعون:</u>

(محسن) ضيف فى إحدى القنوات التى تتحاور معه عن الكيفية التى تحاورت معه بها الفيروسات الذكية، وبينما هو يتحدث صمت فجأة ونظر للكاميرا وهمس:

- يالكم من أغبياء.. تنازلتم لنا بكامل رضاكم عن إرادتكم..

سمحتم لنا بدراسة أجسادكم دون مقاومة.. حاولنا قتلكم بشتى

الطرق لكنكم كنتم تقاومون.. أنتم لاقيمة لكم..

ضحيتم بإخوانكم..

من اليوم انتهى عهد البشر ويبدأ عصرنا نحن**!**

وأمام الكاميرات احتقن وجه (محسن) بشدة وبدأت عروقه تنتفخ وعيناه تجحظان، وفجأة بدأت الدماء تنبثق من فمه وأنفه وعينيه، ثم سقط رأسه على المنضدة جثة هامدة معلنا البداية..

بداية عصر الفيروسات **!**

تمت

* * * * *

هززت رأسى ومططت شفتاى فى حسرة.. هل مازال المجد ينادينى أم...؟

ربما لو ناديت عليه أنا فسوف..

نظرت للهاتف فإذا به يرن.. الهاتف عليه اسم الكاتب الرائع (إسلام عبدالله).. دق قلبى فى عنف.. أنا أحب هذا الرجل بشدة، وأحب الحديث معه.. إنه طيب القلب ونقى الروح بما لا يقاس.. مكسب حقيقى وفخر أن تكتسبه صديقا..

أفقت من تأملاتى على انتهاء اتصاله..

ياللكارثة.. ليس معى رصيد.. اتصل مرة أخرى.. اتصل يا أخى.. اتصل بالله عليك..

اللعنة على شرودى هذا.. نظرت للهاتف نظرة أخيرة بيأس.. واضح أنه لن يتصل الآن مرة أخرى..

ماذا أفعل؟

قررت أن أحاول الكتابة مرة أخرى.. أخيرة.. بالأدب الأثير إلى نفسى.. الرعب ! و.. قصة حقيقية حدثت.. لى أنا !

* * * * *

(..........)

أشار لى الطبيب أن ابدأ الحديث وضغط زر التسجيل، ثم أمرنى بالحكى دون توقف.. كان ذلك جزءا من العلاج النفسى..

أخذت نفسا عميقا، ثم قلت فى هدوء:

– هذا التسجيل للأحداث الغريبة التى وقعت فى شقتى بعد الزواج..

كنت قد اشتريت هذه الشقة وأتممت تأثيثها تماما ثم تزوجت فيها.. كانت الشقة ملكا لأسرة من قبلنا تعيش فيها، وعندما رأيت الإعلان عنها لاحظت أنهم يريدون بيعها سريعا مما جعل صاحب الشقة يوافق على الثمن الذى عرضته دون نقاش!

كنت أعتقد أنها فرصة لا تعوض..

بالفعل تزوجت، وانتقلت للحياة فى هذه الشقة الجميلة الواسعة.. لم أخبر أحدا بسعرها قط خوفا من أعين الحاسدين..

ولكن.. مع مرور الوقت تلاحظ أشياءا بسيطة تحدث حولك..

أشياء مخيفة.. غير منطقية..

ولو أنى كنت على قدر ولو قليل من العقل لهربت من هناك فورا..

مثلا: ذات مرة خلعت زوجتى نظارتها للوضوء ووضعتها فوق التلفاز،وعندما عادت لم تجدها!

ظلت تبحث عنها فى كل مكان حتى وجدتها لاحقا فوق الثلاجة!

ولم يكن هناك غيرنا فى الشقة..

أعرف أنه موقف بسيط وللشرود دور في هذه المواقف ولكن:
مرة أخرى في الثانية صباحا قمت لإعداد كوبين كبيرين باردين من مشروب غازى مثلج لى ولزوجتى.. وأنا أصب المشروب شعرت بريح باردة خلف عنقى.. شعر جسدى ينتصب.. كأن هناك شخص يزفر فى عنقى.. شعور سخيف جدا.. وبينما أنا خارج من المطبخ انزلق الكوبان من يدى وسقطا على سيراميك المطبخ وتهشما..

كان غريبا أن ينزلق الاثنان معا من يدى.. شعرت وقتها وكأن أحدا جذبهما من يدى لأسفل.. تهيؤات.. لا مشكلة.. الغريب أنى لم أجد غير بضع قطرات من المشروب متناثرة على الحائط!

فقط !.. أين السائل؟

الكوبان كبيران والمفروض أن تغرق الأرضية به.. لكنه بكل بساطة اختفى !

هذا أيضا حادث بسيط، لكن فى مرة أخرى دخلنا لننام يوم الثلاثاء ليلا..

وعندما استيقظنا كان اليوم هو الخميس!
أقسم أنى لا أمزح وأننا لم نتناول شيئا يذهب العقل أو أى نوع من المخدرات تماما!

بل جاءتنا تليفونات كثيرة يوم الأربعاء المفقود ولم نرد عليها.. كنا نائمين.. ولا أدرى كيف حدث ذلك.. لم نستيقظ حتى لشرب الماء أو دخول الحمام.. بالنسبة لنا لم يكن هناك أربعاء..

هذا شيء مخيف.. لكن ربما نكون شاردين.. هذا يحدث.. على الرغم من كل شيء نحن زوجان حديثا الزواج وكل شيء ممكن.. ولكنها ليست نهاية الأحداث.. هناك المزيد..

فى مرة أخرى نزلت زوجتى لقضاء مشوار ما وجلست وحدى فى المنزل أشاهد التلفاز.. كان الوقت صباحا، حوالى الحادية عشر صباحا.. يومها سمعت زمجرة أو زئيرا كزمجرة وزئير الأسود قادمة من تجاه الحمام ! أصابنى الفزع التام.. شلل من الرعب.. قلبى يدق فى عنف وأنا اختلس النظر من الباب تجاه الحمام لأرى..

لأرى ضوءا أحمرا يشبه رجلا يطل على من باب الحمام!

وصوت الزئير يتعالى..

تراجعت وانا أرتجف رعبا..

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم..

رعب رهيب أصابنى وخطر لى خاطر ألا أتلو القرآن وإلا سيصيبنى ضرر.. ظللت صامتا.. حاولت التشاغل بالتلفاز، لكنه أغلق فجأة !

نصف ساعة كاملة وأنا لا أجروء على الحركة.. الأصوات فى الخارج واضحة جلية لا شك فيها، وكلما نهضت لأرى ما هناك بالضبط تعالى الصوت، فأنكمش فى مقعدى.. حتى عادت زوجتى، وحينها اختفى الصوت بغتة!

قد أكون مريضا نفسيا..

صحيح..

ولكن ما التفسير أن يحدث ذات الأمر مع زوجتى بحذافيره لاحقا ومن دون أن أحكى لها شيئا؟

هذا غير الكوابيس.. دعنى أسألك سؤالا:

ما فرصة أن يأتيك كابوس أنت وشريك حياتك فى نفس الليلة؟
وبنفس الأحداث تماما؟
خاصة وأنكما نائمين فى حجرتين منفصلتين ذلك اليوم؟

سأحكى لك كيف حدث ذلك..

كانت زوجتى تشاهد التلفاز ونامت أمامه، بينما سبقتها أنا إلى غرفة النوم ونمت..

رأيت فى نومى شكلا أسودا مبهما ضخما يحدق فى وجهى من قلب الظلام ويزئر.. أنا متجمد ولا أستطيع الحركة بينما يحدق نحوى بعينين شريرتين دون حراك.. ثم استيقظت.. عندما استيقظت فتحت عينى وأنا أشعر بقلبى يضرب صدرى بعنف نتيجة الذعر فوجدته أمامى مباشرة!

نعم..

للحظات وجدته فى قلب الحجرة..

أخذت أحدق فى الظلام..

كائن أسود ضخم يقف أمامى فى الظلام بلا شك.. ثم أخذ يذوب ويختفى ببطء.

نهضت هذا اليوم مرتجفا مستعيذا ومحوقلا.. ياله من كابوس..

خرجت لأبحث عن زوجتى فوجدتها جالسة على الأريكة واضعة يدها على صدرها وتستعيذ بالله من الشيطان الرجيم.. سألتها ماذا هناك، قالت أنها رأت كيانا أسودا مبهما ضخما يتحرك فى الشقة ويخرج من باب حجرة النوم!

ما رأيك؟

أعلم أن هناك ألف تفسير للأحداث ربما تحمل شيئا من المنطق، ولكن..

حجرة نومنا بالذات كانت غريبة.. كلما نام فيها أحدنا رأى كوابيسا مفزعة وكيانات سوداء غريبة..

غريبة..

كما أنها كانت تعطيك إحساسا أنها مظلمة.. مظلمة على الرغم من وجود نجفة بخمسة مصابيح فيها.. كأن هناك ضباب أسود شفاف.. لا أعرف كيف أصف ذلك..

ومما حدث فى هذه الحجرة أنى ذات يوم كنت نائما فيها وحدى وفجأة أحسست أنى بدأت أستيقظ، ولكن جسدى يرفض الحركة !

تماما!

بينما يستولى الذعر على، رأيت أمامى – فيما يشبه الخيالات – شبحا!

نعم..

ظل أسود شفاف يرمقنى فى مقت.. واختفى..

ظهر فى ركن الحجرة.. وجهت نظرى نحوه فى هلع.. اختفى..

ظهر أمامى مباشرة.. اختفى..

ظهر فى منتصف الحجرة فاتحا فما اسودا على اتساعه.. اختفى..

كل ذلك فى ثانية أو ثانيتين..

الهلع العنيف يسيطر على.. ظللت أجاهد للحركة دون فائدة..
أخذت أحاول أن أتلو آيات قرآنية، هنا شعرت بصفير هائل فى أذنى وثقل عظيم على لسانى لكنى لم أستسلم وأخذت أحاول التلاوة.. أسمع صراخا

وضجيجا وصفيرا..

لم استسلم.. بشكل ما كنت أشعر أنى لو استسلمت سأهلك.. ظللت أجاهد

بالقراءة حتى تحررت من ذلك فجأة..أتعرف صوت الرياح عندما تهدأ؟

هذا ما سمعته وقتها..
نهضت من على السرير منهكا ظللت أحدق فى الفراغ الأسود وقلبى ينبض بالذعر.. قلت لنفسى كاذبا أنه كابوس جديد..

ولكنى كنت قد علمت يقينا أن هناك شىء شرير يحدث..

هذه الشقة ليست على مايرام..

ولم يكن ذلك مجرد شك..

حتى جاء ذلك اليوم..

* * * * *

دخلت بعد المغرب لأنام، فإذا بى أسمع صوت صراخ هائل فى أذنى.. انتفضت من نومى مذعورا لاهثا مذعورا أحدق فى الظلام وأصغى السمع..

لا شيء.. صمت تام..

يبدو أنه.. كابوس آخر؟

ربما.. تقلبت ونمت على الجهة الأخرى.. وفجأة سمعته:

صراخ هائل باسمى.. كأن هناك مجموعة كبيرة من عشرات النساء والرجال يصرخون معا باسمى..

انتفضت من على فراشى و نهضت مفزوعا حانقا..

لا شيء..

لا صوت..

استلقيت للمرة الثالثة.. حاولت تلاوة شيء لكن لسانى تلعثم.. فى هذا اليوم كنت مرهقا للغاية، وسرعان ما انطبق جفناى، فإذا بى أسمع الصراخ المخيف مرة أخرى ممزوجا بضحك..

هنا نهضت وشعرت بغضب عارم..

نعم..

لم أكن خائفا ولست أدرى لماذا.. استولى على الغضب فقط.. هناك من يعبث بى..

أخذت أصيح وقتها فى الحجرة كالمجنون:

- ماذا تريدون؟ ماذا تريدون؟

ثم نهضت ودخلت الحمام فتوضأت وخرجت فوجدت زوجتى تسألنى بقلق عما هناك..

وجهها يتموج بطريقة غريبة..

أشحت بوجهى عنها وقلت لها أنى سأغلق على نفسى باب الحجرة، ومهما سمعتى لا تدخلى ورائى.. سمعتها تضحك وارتجف قلبى.. هذه ليست ضحكة زوجتى.. لكن الغضب مازال يعترينى..

دخلت الحجرة وأغلقت الباب فى قوة وأنا أشعر بعزم وإصرار لم أشعر بهما من قبل فى حياتى.. وجهت نظرى تجاه المصحف الشريف الموجود على المنضدة.. فرشت مصلية على الأرض، ثم خطوت نحو المصحف و..

لم تسنح لى الفرصة لأخذ خطوة أخرى.. الأرض من تحتى استحالت ضبابا وأحسست أن الأرض تبتلعنى !

أرى الغرفة تختفى لأعلى وأنا أسقط من حالق.. لم أستطع حتى الصراخ وأغمضت عينى..

ثوان مرت ولا شيء يحدث.. فتحت عينى بحذر لأجدنى مستلقيا على الأرض فى نفس الحجرة!

ولكن..

كل شيء مشوه..

مخيف..

متذمر..

أطراف الأثاث مسودة كأنها محترقة..

المرايا مشروخة..

الأرض مسودة متكسرة..

وفى طرف الحجرة لمحت ظلا وقفا ينظر للأرض..

زوجتى!

ألم أقل لها ألا تدخل الحجرة تلك الحمقاء؟
خرجت من الظل وبطنها منتفخ أمامها، ورفعت عينيها الجميلتين نحوى ونحوى ونادتنى بصوت رقيق..

نهضت من رقدتى رويدا رويدا وسرت نحوها بخطى متعثرة..

زوجتى؟

فجأة صرخت صراخا مرعبا وهى تتشبث بصدرى!

ثم..

أخذت تلهث.. تبكى.. تئن.. تعوى..

إنها تلد!

هل هناك شيء غريب؟

هناك ضباب على عقلى.. لا استطيع التفكير بوضوح، لكن زوجتى تلد..

حملتها ووضعتها على الفراش القذر، وطلبت منها فتح قدميها و..

ياللتشويش فى رأسى.. هناك شىء ما خطأ لا أستطيع أن..

بينما هى تزفر بألم وتمزق الوسادة بأسنانها تذكرت شيئا غير هام..

نعم يا دكتور..

لم تكن زوجتى حاملا من الأساس! ولكن هذا ليس هاما، المهم أن نتجاوز الموقف..

تلهث..

تصرخ..

تعوى..

آمرها بالدفع..

تصرخ..

تعوى..

رأس الرضيع..

ادفعى..

هاهو يخرج..

أجذبه..

لقد خرج..

ابنى..

هناك سكين أسود قذر جوارى لا أدرى من أين جاء.. لابد أن أقطع الحبل السرى.. ببطء وتردد أخذته وقطعت الحبل..

الطفل يصرخ.. حمدا لله..

ابنى..

رفعته لأنظر لوجهه الجميل فوجدته..

قد مات !

لم أفهم.. قلبى يعتصره الفزع والحزن والألم.. لقد كان حيا منذ لحظة..

زوجتى تبتسم منهكة وهى تخبرنى أنها مفاجأة.. هى حامل منذ فترة، ولكنها لاتدرى كيف جاء الوليد مبكر هكذا..

ااااااااااااااه ياللتشويش..

نظرت لطفلى من وسط دموعى.. قلبى يتمزق.. أمه تنادينى تريد أن تراه.. بخطى مترددة سرت نحوها وأعطيتها الطفل..

فى المرآة رأيت نفسى.. رأيتنى ممسكا بالطفل بيد، وبيدى الاخرى..

أطعنه فى جنون.. فى وحشية.. وأضحك.. أضحك يا دكتور..

هذا ليس أنا.. ليس..

ليتنى أستعيد قدرتى على التركيز قليلا..

تناولت زوجتى الوليد، ثم.. صرخت صرخة لوعة مزقت نياط قلبى وأجهشت بالبكاء..

ثوان ورفعت عينين حمراوين نحوى وهمست فى وحشية:

أنت قتلته.. أنت فعلت..

فتحت فمى لأدافع عن نفسى، لكن جسدها كله تشنج فجأة، وعاد رأسها للوراء وهى تصرخ صرخة من قلب روحها نفسها.. أصابعها تتشنج على الملاءة وظهرها يتقوس كظهر القط..

صراخ..

صراخ..

ولست أدرى كيف وجدت رأسها ينظر إلى بوضع مقلوب وهى تصرخ بعينين سوداوين مظلمتين صارخة:

قاتل..

ثم.. ثم..

همد جسدها تماما.. ارتجفت ارتجافات أخيرة، بينما ينز الدم من جانب فمها..

أخذت أصرخ وأصرخ وأنا أحدق فى الظلام من حولى..

هناك من يضحك..

هناك من يصرخ..

الصوت يتعالى..

أبكى وأنا أضع يدىّ على أذنى وأغمض عينى وأصرخ..

ماذا يحدث..

ماذا يحدث بحق الله..

اللعنة..

فجأة شعرت بيد حانية تربت فوق كتفى..

جفلت للحظة ثم.. وجدت الهدوء يحيط بى.. لا صراخ.. فتحت عينى ببطء لأجد..

أمى!

ودون شعور ارتميت فى أحضانها أبكى وأنشج..

زوجتى يا أمى..

ابنى..

الضباب ينقشع قليلا لأتذكر شيئا..

أمى.. رحمها الله!

لكنى أشعر بالاطمئنان.. رفعت عينى لأنظر إليها.. إنها أمى بحنانها وطيبة قلبها.. اتحسسها وأمسك يدها الحانية.. هى أمى..

احتضنتها مرة أخرى واعتصرتها اعتصارا بين يدى..

ومن بين يدى شعرت بفراغ يتزايد.. أتراجع وأنظر..

لا!!!

إنها تتحول لتراب بين يدى.. رماد..

أمي.. لاااااااااااااااااااااااا

أنظر بعين مفزوعة لكومة تراب على الأرض.. رفات أمي..

أمي.. تفتت بين يدى كورقة التهمتها النيران..

أى عذاب.. أى ألم..

الصمت يعم المكان..

وفجأة من بعيد يتعالى الصراخ باسمى من جديد.. وهذ المرة لم أقاوم..

فليقتلونى الآن.. لا أريد الحياة..

ومن قلب الجدار الأسود يبرز ذلك الشبح..

الكيان الأسود المخيف، يأتى نحوى بخطى مزمجرة..

ذات الصوت الأسدى الذى سمعته فى وضح النهار ،لكن لم يعد بقلبى خوف!

كيف ينتظر استجابة من إنسان مكسور؟

كيف يحارب من ليس لديه شيء متبق ليخسره؟

نظرت لرفات أمى بأسى، وتخطيتها لأستلقى جوار جثة زوجتى وابنى وأحتضنهما.. أغمضت عينى مستسلما للظلام القادم حتما وأرجو من الله ألا أتألم، وبحسبى جدا آلام قلبى الذى مات ألف مرة منذ دخلت لهذه الغرفة اللعينة.. تركت العنان لأفرغ آلام قلبى عبر دموعى الساقطة..

الصمت والظلام إلا من صون أنفاسى العالية ونهنة صدرى تؤلمنى..

طال الوقت حتى كأنى نمت، ولاشيء يحدث.. فتحت عينى ببطء لأجد أنى..

على فراشى.. فى حجرتى المضيئة النظيفة! حجرتى العادية وليست تلك الحجرة السفلية الشيطانية..

مددت يدى ومسحت عينىّ وأخذت أحدق فيما حولى.. كل شىء على ما يرام.. بل إنى أسمع صوت زوجتى بالخارج تتحدث فى الهاتف وتضحك..

كابوس؟

غير ممكن أبدا أبدا..

سمعت صريرا قادما من ناحية المرآة.. فوجدت..

وجدت أن انعكاسى ينظر لى بعينين مظلمتين من هناك وفى يديه ورقة، ثم مالبث أن وضعها على الزجاج من الناحية الأخرى.. نهضت فى تردد لأرى المكتوب عليها..

نعم.. لا تتعجب.. لقد رأيت مالن يخيفنى شىء بعده أبدا.. كان مكتوبا على الورقة:

- **"واجه مخاوفك.. خوفك يقتلك"**

ما معنى هذا الكلام؟

تموجت الصورة لتنقل انعكاس طبيعى للحجرة.. وفجاة اتسعت عيناى وأنا أفهم.. الحجرة.. إنها تعبث بى!

تلك الغرفة تواجهنى بمخاوفى..

أكثر ما يخيفنى..

أن تموت زوجتى..

أن تلد طفلا ميتا..

أن أواجه المجهول والظلام..

أقوى آلامى يوم وفاة والدتى يعود و.. تحولها لرماد بين يدىّ!

لم تكن الحجرة قط مسكونة بالجن وما شابه.. إنها مسكونة بمخاوفى

ومخاوف زوجتى..

واجهتنى الحجرة عندما قررت أن أواجهها..
الغريب أنى لم أعد ارى المكان شريرا لهذا الحد ، لكن عيناى احتلتهما
نظرة انكسار وشىء من الحزن..

تصور أن تموت زوجتك وابنك وأمك فى يوم واحد ومكان واحد.. ولا

تقل لى من فضلك أنه مجرد كابوس..

ابتعدت عن المرآة بخطى لينة، وقبل أن أخرج سمعت طرقا على المرآة..
نظرت نحوها لأجد انعكاسى يبتسم لى، ويمسك يده بيده الأخرى كأنما
يصافح نفسه!

أومأت برأسى فى وهن وخرجت..

زوجتى بالخارج تتحدث فى الهاتف.. ما أن رأتنى حتى أنهت المحادثة

وسألتنى فى دهشة عن كل هذا العرق.. أكنت فى (ساونا) بالداخل؟وما كل
هذا التراب الذى يغرق ملابسك؟
تراب؟ رفات أمى؟

رفعت عينى لها فى جزع.. ظللت صامتا.. قالت لى أن هناك خبرا سأفرح للغاية به.. ودون اعتبار لهيئتى المزرية انحنت تطبع قبلة على خدى وهمست فى أذنى:

أتتنى الآن نتيجة الاختبار يا حبيبى..

أنا.. حامل..

* * * * *

أنتهيت الحكاية، بينما مد الطبيب يده وأغلق التسجيل.. قال كلاما كثيرا بعدها عن الوجدان والانفصام الوقتى والبارانويا وبوادر الاكتئاب، ثم كتب لى على أقراصا لأبتلعها..

لهذا السبب حكيت له تحديدا..

نفسى مثقلة بقصة جنونية..

شاهدت فيلما ذات مرة عن حجرة فى فندق تدفع من بداخلها للجنون..

وقصة الغرفة الحمراء..

كانت تحى عن غرفة مسكونة بالمخاوف ولا شيء آخر.. الخوف المتجسد المادى الملموس كما خلقه الله! الخوف البكر الصافى بلا شوائب..

الخوف!

لكن.. غرفة منزلى أنا؟

أنا لست مجنونا قط، ولكن..

ربما ابتلعت قرصا من هذه الأقراص و..

يجب أن أدعو الطبيب لقضاء ليلة فى غرفتى، ولنر ماذا سيكون رأيه بعد ذلك!

تمت

* * * * *

تراجعت فى مقعدى أتمطى وأفكر.. كل الأدباء الكبار قدموا مجموعات قصصية، لكنى لست كبيرا.. لكن..

فى كثير من الأحيان يكون التنوع مطلوبا.. سأقدم هذه المرة شيئا جديدا لأسلى الناس.. وسوف..

أفقت من تأملاتى على صوت رنين الهاتف.. إنه (إسلام عبد الله).. فورا أجبت والسعادة تنطلق من صوتى.. أتانى صوته الهادىء المميز يسألنى عن أحوالى، وبعد حديث قصير أخبرنى أن:

– الكارنيه موجود يا أبا زكى.. تعال لتستلمه..

– كارنيه (الباركينج)؟

– (باركينج) ؟ كارنيه الرابطة يا أبا زكى..

شعرت بالحرج.. قلت أنى سأذهب لأستلمه فورا.. الحياة تبدو مشرقة رغم كل شىء..

* * * * *

بعد هذا اليوم بثلاثة أو أربعة أيام جاءنى هاتف شديد الغرابة.. صديقى الضابط حسن يريد مقابلتى للأهمية..

انقبض قلبى تماما.. ضابط ويريدنى؟ إذن هى مصيبة..

ركبت سيارتى، وانطلقت إلى حيث يعيش.. كان يعيش فى منطقة معزولة نوعا، حيث اشترى والده الراحل منزلا بكامله.. كان مسافرا للخارج وعاد منذ فترة.. هو صديق طفولة كما لا بد أن خمنت..

استقبلنى وجلسنا معا كثيرا.. لاحظت أن المنزل شبه خال، لكنى لم أعلق.. فقط أخذنا كوبين من الشاى وجلسنا فى الشرفة..

وبدأ يحكى..

وانتصب الشعر على ساعدى خوفا..

حكى عن بيت مخيف.. أحداث مخيفة رهيبة تحدث فيه..

زوجة صديقى تتعرض لمس شيطانى..

أخته تتعرض لمس شيطانى..

جثث تظهر فى المنزل..

عبادة شيطان..

أوراق شيطانية..

دماء تراق..

هناك سفاح.. مجنون من طراز لا نعرفه فى مصر.. مجنون يقتل ويعذب ويستدرج الضحايا ويرفع فيديوهات قتلهم ليراها العامة.. يقرر أن يدمر حياة الضابط حسن..

الضابط حسن.. يواجه الرعب الشيطاني في منزله، والرعب الآدمي المتوحش في الخارج..

الشيطان.. يمشي على الأرض..

بافوميت!

(إبليس يعلن عن نفسه)

* * * * *

استمعت للتفاصيل الرهيبة.. ولست أدري كيف عدت لمنزلي !

لقد كنت..

كنت في معقل الشياطين نفسه !

رغم كل شيء.. ذو السواد موجود !

بافوميت قادم..

ورغم كل شيء، لا بد أن هناك جزء ثان من أرواح نجسة!

انقبض قلبي من جديد..

لكني لم أكن أعرف أن الأمور ستتطور.. هناك راؤول صاحب الخاتم أيضا.. سأرى مالم أتخيل وجوده.. سأرى حروب القسطنطينية وأرى آلهة الشر تتعارك وأرى ابن إبليس في حرب أكتوبر المجيدة.. من اقتنى (خاتم راؤول) يفهم كلامي جيدا، لكني لم أكن أعرف القادم، ولو كنت أعرف لما امتهنت الكتابة أبدا!

الآن..وصلنا للنهاية..

فى نهاية المطاف حصلت على روايتى بشكل ما..
كنت أظن أنى لن أواجه شيئا من هذا الرعب العنيف مرة أخرى، لكنى
كنت مخطئا.. صادقا اقول لك أنى بأصابع مرتجفة جلست لأسجل الهول
الذى سمعته..

الهول الذى أعرفه جيدا..

فقط أدعو الله أن يتم الأمر هذه المرة بسلام..

لا أريد أن يحدث للناس مثلما حدث لهم فى أرواح نجسة..

الأحداث تتالى..

واللعنة لم تنكسر..

(النهاية)

ما بعد النهاية:

دلفت بحذر إلى هذا المكان الرهيب.. هناك فى آخر القاعة يجلس على مقعده العالى وحوله آلاف من الكتب والروايات ورأسه منكب على شىء يقرؤه..

تقدمت منه بحذر وحذائى يصدر صوت دقات تثير القلق.. القاعة واسعة للغاية حتى لا تكاد تعرف آخرها.. أتقدم بخطى متوترة لأعرف القرار..

بصوت جهورى يهتف أن أقف.. يشيح بيده فيطير كتابى من جواره سابحا فى الهواء حتى يستقر بين يدى..

يسود الصمت قليلا، ثم ينطق:

جيد.. انشره..

التففت خارجا من القاعة سريعا وأنا أتنفس الصعداء.. ليس كل يوم تقابل السيد بنفسه ويسمح لك بما لم يسمح به لغيرك!

(ملحوظة: أعدك أن تفهم كل شىء لاحقا!)

شكر شديد الخصوصية:

بدون ترتيب وكيفما اتفق:

د. محمود صلاح. – أ. إسلام عبدالله.

د. سالى مجدى. – أ. أحمد بدران.

هؤلاء مكسب حقيقى، ومن عتاد الإنسان فى الحياة.. مكسب شخصى وإنسانى واجتماعى، ومصدر بهجة وفرح وفخر.. شكرا لكم.

شكر كبير للسيد (طارق وافى) .. أنا أحب هذا الرجل بلا قيود.. إنه (جدع) و(ابن بلد) وشخصية مرحة.. هو مخيف قليلا لكن لا بأس.. يمكننى أن أتعامل مع خوفى هذا.

الأب ..

الأخ الأكبر..

الصديق..

ثم الدافع المعنوى الكبير..

الرجل الطيب الجميل، صاحب دار النشر (لا بد أنك فهمت)..

الأستاذ (حسام حسين).. كل الشكر والتقدير والاحترام .. شكرا جزيلا.

كتب أخرى للمؤلف:

- أرواح نجسة.
- مملكة الرب.
- إبليس يعلن عن نفسه.
- جبروت.
- الحوت الأزرق.
- تعاويذ.
- مقدسات الموت.

الفهرست:



info@noonpublishing.net

02–35860372 – 01127772007

القَصَّاصُ

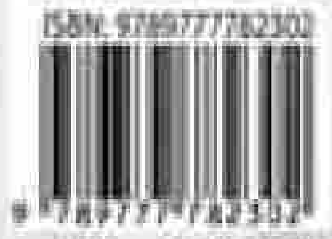
حسنًا، دعنا نكن متفقين. هنا جزار يبيع لحوم البشر، وهنا غزو رهيب يجتاح كوكب الأرض بفيروسات ذكية لاتريد غير الفناء التام. ستجد بيتًا مسكونًا بأكثر المخلوقات شرًا وستجد أيضًا حجرة مسكونة بالخوف نفسه كما في حجرة هتلر!

ستذهب في رحلة عبر الزمن لترى الأسرار. بناء الأهرامات وخطوط نازكا وغيرها. كما ستطاردك الكلاب التي هي ليست كلابًا في وسط المقابر ليلًا. وستكون وحدك!

أعدك أن تبكي مع جابر. وأعدك أن ينتابك الغثيان من خلال منظور قاتم. سترى الحقيقة الكئيبة للمواطن والمواطنة، وستقابل أحد أعتى القتلة المتسلسلين في التاريخ، وستراه وهو يتعبد للشيطان!

هل ذكرت أنك ستقابل الموت ليدور بينكما حديث ودي لطيف؟ بل ربما أهداك هدية أيضًا. ولا أريد أن أنسى (ست) إله الشر. ليس من الحكمة نسيانه كما تعلم.

كل هذا وأكثر. في النهاية أنت تتعامل مع القصاص ذاته، وإنه لخبر رهيب. ولكني أعدك أن تعود سالمًا. أو. دعنا ننسى الوعد الأخير!


ISBN: 9789777782302



غلاف: إسلام مجاهد